الكيسانية في الشعر الأموي ومرجعيتها الدينية

فضل بن عمار العماري *

تاريخ تقديم البحث: ٢٠١٠/١٠/١٣ تاريخ القبول: ٢٠١١/٦/٩

ملخص

مضى ردح من الزمن، والباحثون مجمعون على أن تسمية عامة للحزب الرافع لشعار آل البيت في العصر الأموي بأنهم الشيعة. واختلفوا حول تصنيف الشعراء، فوضعوا كثير عزة، والسيد الحميري في فرقة الكيسانية، وجعلوا الكميت في فرقة الزيدية، واستمروا دواليك. وما هكذا كان الوضع، فمنذ سقط علي ﷺ صريعا، تعالت أصوات بغيبته ورجعته، واستثمر المتحزبون له بعد مأساة الحسين ﷺ كل مرجعية سابقة لتوجيه ذلك الحزب، ووقع الاختيار على محمد ابن الحنفية، ليكون رمز الكيسانية، وزجوا بكثير عزة فيها، وهو بعيد منها، وأبعدوا الكميت عنها، وهو قطبها، والناطق الرسمي باسمها، وظل السيد الحميري يلهج بمبادئها، ويعلنها صريحة، لا يوارب فيها، ولا يماري.

كان الشعر الأموي الشيعي كله شعر كيسانية، وأما غيره، فبدا تعاطفا مع آل البيت، أو ترديد أقوال عامة لا انتماء لها. وهذا ما حرره البحث، وسار على خطواته.

ABSTRACT

The Kaisnite in the Umayyad period and its Background

For such a long time the majority of scholars and Islamic researchers have been calling the religious party that used to back the household of the Prophet Muhammad, peace be upon him, the Shiites. However, they disagreed on the issue regarding the classification of the poets, who were supporting the party as far as it's internal divisions were concerned. They classified both Kuthayyir Azzat and Sayyid al-Himyary within the Kaisnite group. They, however, classified the famous poet al Kumait within Zaidiyya.

We think that the above-mentioned- poet-classification has not been correct or precise. This is because we believe that al-Kumait was the greatest figure in the Kasnite creed. After the assassination of Ali b. Abe Talib, the followers of the party divided into different groups one of which claimed that Ali was alive became and would definitely appear one day. That belief became even stronger after the miserable killing of his son al-Husain. Having that happened the Kaisnite chose Muhammad b. al-Hanafiyyah as it's symbol. They considered Kuthayyer one of them and, at the same time, they classified al-Kumait a member of Zaidiyyah. But as we stated before al-Kumait had nothing to do with Zaidiyyah. He was, however, a genuine Kaisnite.

At the end we must say that the whole of the Shiite Umayyad poetry belonged to the Kaisnite poets. The poets, who used to praise the household of the Prophet, peace be upon him, should be considered as supporters.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

المقدمة :

علينا قبل الخوض في هذه العقيدة أن نقرر أن بحثنا هذا أدبي محض، ينصب كل اهتمامه على الشعر، والشعر مادته فقط، ومراجعه المعاصرة ما يخص الأدب فقط، كما علينا أن نوضح أن كل من تحدثوا عن الشيعة في إطلاقها العام إنما قصدوا الشيعة الإمامية، الاثني عشرية، الجعفرية[1] . ولا علاقة لهذا البحث بهذه الفرقة؛ وهي فرقة تعتقد بالأئمة الاثني عشر فقط[2]، وترفض ما نحن بصدده في حصر الإمام الغائب بمحمد ابن الحنفية، بل تعد الفرقة السبئية فرقة غالية[3]، وهي التي انبثقت منها الكيسانية. ونحن هنا نتتبع المواقف العقدية وصولا إلى الكيسانية كما انعكست في الشعر الأموي بخاصة، والتي لم تختص حتى ذلك الوقت إلا بها وبالزيدية، مثلما وصفها الدارسون، محاولين أن نجد الخط الجامع، أو الفارق بينهما؛ والذي ظهر أنهما يلتقيان شعريا في مسار واحد، جامع لهما هو الفرقة الغالية، حسبما أطلق الدارسون على اتجاه أصحابها أيضا، وذلك كي نصل إلى غربلة تلك الأشعار، ووضعها في مسارها الصحيح؛ لأن التاريخ الأدبي، أو المنهج التاريخي، كان طاغيا جدا في تناول هذا الموضوع، بحيث أصبحت هناك قناعات بأن كثيرا كان كيسانيا غاليا، وأن الكميت كان زيديا معتدلا، وكلا الوضعين كانا مختلين، لا يتوافق أي منهما مع ما عدوه له، وهذا هو ما سنتاوله هنا بالبحث والدراسة، التي توصلنا إلى إلغاء الفوارق بين الفرقتين، لتجتمعا في فرقة واحدة هي الكيسانية. والملاحظ أن هذه الفرقة التي استمدت حيثياتها من السبئية – أو هي السبئية نفسها- هي التي بدأت هذه التصورات عن تفاصيل الأحداث وربطها بعضها بعضا، وتشعبت بها، لتخرج بنظرية الغائب المخصوص بجبل رضوى والخروج منه، وتوقف عنده. وإن كانت لها جذورها الدينية، ومن أعظمها حديث غدير خم، والمهدي – اللذين لا يقبلهما الجمهور على علاّتهما– واللذين انبنت عليهما –وعلى سواهما– عقائد الولاية والوصية وغيرهما عند الكيسانية، موضوع بحثنا، المستضيء بالمنهج التحليلي الاستقرائي الاستنباطي.

(١) طعيمة، صابر، **الشيعة معتقدات ومذهبا**، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ص ١١-٨٩.

(٢) انظر، التقيد بالأئمة الاثني عشرية في كتاب الحكيم، السيد محمد باقر، **الإمامة وأهل البيت**، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ص٢٦٥، ٣٠٧-٣٣٨.

(٣) الحكيمي، الشيخ محمد رضا، **سلوني قبل أن تفقدوني**، مؤسسة الأعلمي،بيروت، ٢٠٠٦م، ج١، ص ص١٤٩-١٥٤، ١٨٣-١٨٤. وانظر عن العقائد، الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر(ت٦٠٦هـ/١٢١٠م)، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦م. وانظر عن الفرق الغالية، السامرائي، عبدالله سلوم، **الغلو والفرق الغالية**، دار واسط، بغداد، ١٩٨٢م، ص ص٨٢-٨٨.

١ - أصول الكيسانية

والذي يتبين من النصوص الشعرية أن عقيدة الكيسانية اكتملت في العصر الأموي، منذ حركة المختار الثقفي (٦٥-٦٧هـ)، وتولاها منتمون لها، نسبوا الشعر لكثير، حتى جاء الكميت، فأطرها تأطيرا متكاملا، وأكمل السيد الحميري مسيرتها. وهذا ما سنتبينه من خلال التحليل. على أن الكيسانية اتكأت على مرجعية دينية، جعلتها واقعا أكيدا، ومن ذلك الادعاء بتأسيسس حزب الشيعة، والذي هو في المنظور العام ولاء عاطفي قبل خلافة علي ﷺ، حتى إن شوقي ضيف يذهب إلى القول:

"يمكن أن نجد بذور هذا الحزب منذ أفضت الخلافة إلى أبي بكر وعمر...ومعنى ذلك أن الشيعة أخذوا في الظهور بشكل واضح قبل أن يقتل عثمان، فلما قتل أسرعوا إلى علي وبايعوه بالخلافة. ومن حينئذ تكون هذا الحزب تكونا سياسيا، وكان من أهم مبادئه أن يختار علي للخلافة بصفته من بني هاشم الذين ينبغي أن تكون الخلافة خالصة لهم من الناس"(١).

ولكن عباس الجراري يقول:

"إن الشيعة بمعناها الاصطلاحي لم توجد إلا بعد موت علي، أما قبل ذلك فلم يكن لها معنى غير معنى الأتباع، بل لعل الحزب الشيعي لم يوجد إلا بعد أن بايع الحسن بن علي معاوية"(٢).

فهم – وفق كلا الرأيين- مجموعة ضمن جماعة المسلمين في المدينة، وهؤلاء ليس لهم توجه عقدي خاص بعلي وحده ﷺ، وحديث شوقي ضيف لا يخرج عن تقرير الولاء العاطفي، والواقع أن الكتاب المعاصرين درجوا على استخدام هذا المصطلح المبكر، إذ كان الأولى تجنبه وصفا لتلك الفترة، ولأولئك القوم. وعلى العموم، فهذا كقول صلاح الدين الهادي:

"إن التشيع لعلي في حياته كان تشيعا عاطفيا، لحمته وسداه حب آل بيت الرسول ﷺ، وأنه ظل كذلك إلى أخريات أيام علي"(٣).

وقوله:

"إن التشيع لعلي وآل بيته لم يأخذ طابع المذهبية القائمة على أسس، مبادىء، وعقائد إلا بعد وفاة علي بن أبي طالب"(٤).

(١) ضيف، شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٩١.

(٢) الجراري، عباس، **في الشعر السياسي**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٤م، ص١١٣. ولنظر في مقابل هذا، الطباطبائي، السيد محمد حسين، **الشيعة في الإسلام**، مكتبة ذوي القربى، قم، د–ت، ص٢٣؛ الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، ص ص٢٦٧-٢٦٩.

(٣) الهادي، صلاح الدين، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، المدني، القاهرة، ١٩٨٦، ص٣٣.

(٤) **المصدر السابق**، ص٣٥.

وفي هذا يقول أيضا:

"ليست محبة آل البيت قاصرة على من تشيعوا لهم، ووقفوا عواطفهم عليهم دون غيـرهم، فهذه المحبة شركة شائعة بين قلوب المسلمين، من تشيع منه لحق آل البيت، ومن لم يتشيع"(١).

وإزاء هذا الطرح، فإن محبة علي ﷺ كانت واجبة على كل المسلمين دون أن تترتـب علـى ذلك انتماءات سياسية أو عقدية.

٢ - نماذج من الشعر العاطفي في صدر الإسلام

من اللافت للنظر أن شعر صدر الإسلام يخلو من أي من المعاني العقدية اللاحقة، فمن هـذا قول كعب بن زهير في علي ﷺ، من قصيدة طويلة:

صهر النبي وخير الناس مفتخـرا فكل من رامه بـالفخر مفخـور

وكانت هذه القصيدة مشهورة(٢)، وعلى الرغم من شهرتها، فهذا هو البيت الوحيد بها مما يتوجه به إلى علي ﷺ هذا التوجه، وليس فيه مما يمكن عده من العقائد شيء.أما أبو الطفيـل، عـامر بـن واثلة، فيقول منتصرا لعبدالله وعبيدالله، ابني العباس، ضد عبدالله بن الزبير:

إن النبي هو النور الذي كـشفت به عمايات باقـ ـينا وماضينا

ورهـطه عصمة في ديننا لهـم فضل علينا وحق واجب فينـا(٣)

والعصمة هنا تعني الطهارة، ولا تعني المعصومية، حسب فهم الكيسانية. وهذا قول يشمل به بني العباس بن عبدالمطلب. ومثل هذا نجده في مفهوم الإمامة، كما في قول كعب بن جعيل:

وقالوا علي إمـ ـ ـ ـ ـام لنـا فقلنا رضينا ابن هند رضـينا(٤)

وابن جعيل الذي نقل لقب الخليفة الرابع بالإمام، يرى أن معاوية إمام أيضا، فالمسألة لا تعدو الزعامة والقيادة سياسية ودينية. يقول صلاح الدين الهادي بعد أن أورد لعدي بن حاتم الطائي بيتين يخلوان من أي معتقد:

"هذا عدي بن حاتم الطائي- صاحب الإمام علي وأحد من أخلصوا في التشيع له- يتقدم ليقف بين يدي إمامه، يوم أن خرج من الكوفة لقتال الخوارج بالنهروان..." (٥).

(١) **المصدر السابق**، ص٨٩.

(٢) ابن زهير، كعب، **شرح ديوان كعب بن زهير**، الدار القومية، القاهرة، ١٩٥٠م، ص٢٥٤.
كعب بن زهير المزني: أحد الشعراء المخضرمين (ت٢٦هـ، وقيل في خلافة معاوية بن أبي سفيان).

(٣) الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م، ج١٥، ص١١٨.

(٤) المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ)، **وقعة صفين**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٨١، ص٥٧. كعب بن جعيل التغلبي: مخضرم، وهو شاعر معاوية وأهل الشام (ت٥٥هـ).

(٥) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ١١٧.

إن معنى قوله: أحد من أخلصوا في التشيع له يعني نصرته والقتال معه، فهذا ولاء عـاطفي سياسي، وليس عقديا. ولعل مما يتصل بذاك قول أبي زبيد الطائي في رثاء علي ﷺ:

إن الكرام على ما كان من خلـق رهط امرىء خـاره للدين مختـار
صب بصير بأضغان الرجال ولم يعدل بحبر رسول الله أحبـــار

وبعده:

حتى تنصلها في مسجد طهـــر على إمام هدى إن معشر جـــاروا[1]

إذ لا يعني ذلك الاختيار للخلافة، وإنما يعني موقفا سياسيا، يرى أن عليا ﷺ على حق فيمـا قام به.

ومهما نبشنا في كل شعر هذه الفترة فلن نجد إلا دورانا حول هذه المعاني، بحيث لا تخرجنا هذه الأقوال عن التشيع العاطفي نفسه، الذي جعلته الكيسانية حقيقة، وألحت عليه.

ويمكن بصفة عامة –قبل الدخول في دراسة العقائد- تسجيل موقف خاص بالأئمة يتمثل فـي حبهم والتقرب منهم، كما في قول حرب بن المنذر بن الجـارود، دون أن نستـشف منـه إعلانـا لمبادىء عقدية، مع أنه كان يتشيع:

فحسبي من الـدنيا كفـاف يقيمنـي وأثواب كتان أزور بهـا قبـري
وحبي ذوي قربى النبي محمـــد فما سالنا إلا المودة من أجـر[2]

على أن التعبير عن هذا الحب بلغ ذروته بعد مأساة الحسين ﷺ، الذي عبروا فيه عن رثـاء حار شديد.

٣- الشعر الموضوع

إن هذه المرجعية الشعرية التي لا تحمل معتقدا، ولا تعكس موقفا دينيا خاصا، دفع إلى خلـق أشعار ونسبتها إلى شعراء معروفين، فكان لدينا قدر من الشعر المصنوع. وفي ضوء مـا تقـدم يمكن أن ننظر في بعض الأشعار المختلقة، والتي تناولت مثل تلك المرجعية، ومنها الولاية، فممـا جاء عن حسان بن ثابت قوله:

فأصفى بها دون البريـة كلهـا عليا وسماه الوزير المؤاخـــيا

(١) المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد(ت٢٨٥هـ)، **الكامل**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، د – ت، ج٣، ص٢٠٣. خاره: اختاره. وانظر، الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ص ١٠٧-١٠٨. أبو زبيد الطائي: المنذر بن حرملة الطائي، نصراني، أدرك الإسلام ولم يسلم، توفي بالكوفة سنة (٦٢هـ).

(٢) الجاحظ، أبو عمرو، عثمان بن بحر(ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، **البيان والتبيين**، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، مط السعادة، القاهرة، د – ت، ج٣، ص٣٦٥. ومثل هذا يقال عن قول أم سنان بنت خيثمة المذحجية؛ ابن عبدربه، أبو عمر، أحمد بن محمد (٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة، ١٩٦٥م، ج٢، ص١٠٩.

يقـول فمـن مـولاكم وولـيكم فقال ولم يبدوا هنـاك التعـاميا

وبعدهما:

فقال له قم يا علـي فإننـي رضيتك من بعدي إمامـا هاديـا[1]

وهذا قول مدخول على حسان، فهو ليس في ديوانه المحقق، وإن كان صادقا، فهو يتعـارض مع قوله في عثمان ﷺ:

من سره الموت صرفا لا مـزاج فليأت مأسـدة فـي دار عثمانـا

وفيها يقول:

لتسمعن وشيكا في ديارك ـم الله أكبر يا ثـارات عثمانـا[2]

يقول المسعودي:

"وكان حسان عثمانيا، منحرفا عن غيره"[3].

فكل تلك الأقوال لا تصح لحسان، وإنما هي بفعل التنازع المتأخر. ومثل هذا قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

وكان ولي الأمـر بعـد محمـد علي وفي كل المواطن صـاحبه

علـي ولـي الله أظهـر دينـه

ردا على قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

بني هاشم كيف الهـوادة بيننـا وعند علي درعـه ونجائبـه[4]

وأيا كانت درجة الثقة بهذا القول، وأيا كان الخلاف حول مفهوم الولايـة، فـيمكن أن نـرى مفهوم الولاية هنا مفهوما عاما، وليس مقيدا، أو هو ردة فعل على قول الوليد بن عقبـة بـن أبـي معيط، أخو عثمان من الرضاع، إن صح أنه له.

ومن تلك المفاهيم المذكورة في ذلك الشعر الوصية، ولا يهمنا هنا الخلاف العقدي حول هـذه المسألة، فالمبرد يقول عن مفردة الوصي:

"هذا شيء كانوا يقولونه، ويكثرون فيه"[5].

(١) الحميري، السيد(ت١٧٣هـ)، **القصيدة المذهبة**، تحقيق: محمد الخطيب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٣١. حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري، شاعر الرسول ﷺ (ت٤٠هـ).

(٢) الأنصاري، حسان بن ثابت(ت٤٠هـ/٦٥٩م)، **ديوان حسان بن ثابت**، تحقيق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ج١،ص٩٦. ولنظر قول حسان في أبي بكر ﷺ، الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٣، ص٣٦٢.

(٣) المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ)، **مروج الذهب**، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٨م، ج٢، ص٣٤٧.

(٤) **المصدر السابق**، ص٣٤٧. الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: الملقب بـ"الأخضر اللهبي"، كان منقطعا إلى خلفاء بني أمية، وبالذات الوليد بن عبدالملك، وإن اتصل ببعض رجالات بني هاشم، إلا أن ولاءه كان لعلي ﷺ (ت٩٦هـ). الوليد بن عقبة بن أبي معيط: توفي بالرقة سنة (٦١هـ).

(٥) **المصدر السابق**، ص٣٤٧.

وهنا أمران: الأول أن هذا أمر شائع معروف، لا يرى فيه الناس إنكارا، أو مثارا للجدل والاعتراض، والثاني أن هناك شعرا كثيرا صحيحا –عند المبرد العالم الثقة- استخدم هذه اللقب. ولكي نتحقق من دلالة استخدامه نستشهد بما استشهد به المبرد نفسه من قول عبيدالله بن قيس الرقيات:

نحن منا النبي الأمي والصديق منا التقي والخلفاء
وقتيل الأحزاب حمزة منا أسد الله والسناء سناء
وعلي وجعفر ذو الجناحين هناك الوصي والشهداء
والزبير الذي أجار رسول اللّ ـه في الكرب والبلاء بلاء
والذي نغض ابن دومة منا توحي الشياطين والسيوف ظماء[(١)]

فابن الرقيات، وهو زبيري العصبية والهوى، يقول هذا وهو يمدح مصعب ابن الزبير، ولا يفرق بين أحد من الصحابة ﷺ، وهو يتهجم على المختار، ابن دومة، مع أن المختار، استخدم اللقب الوصي، لقبا لعلي ﷺ. يقول ابن منظور، ويشاركه في هذا الزبيدي:

"قيل لعلي بن أبي طالب ﷺ: وصي؛ لاتصال نسبه، وسببه، وسمته، بنسب سيدنا رسول الله ﷺ، هذه صفاته عند السلف الصالح ﷺ"[(٢)].

وعلى هذا، فنحن بين خيارين: إما أن نقبل أن هذا اللقب -أو هذه الصفة- كان وصفا خارجا عن الفهم الذي تلاه، وهو ما تمسكت به الكيسانية تمسكا شديدا، وإما أن نفهمه، كما فهمه أهل ذلك الزمان، لقبا، كبقية الألقاب –أو الصفات- التي كان الرسول ﷺ يسبغها على كثير من أصحابه. ويندرج في هذا فهم قوله ﷺ لعلي ﷺ: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"[(٣)]، وهو الذي جاء في قول الأشعث:

أتانا الرسول رسول الوصي علي المهذب من هاشم
رسول الوصي وصي النبي وخير البرية من قائم
وزير النبي وذو صهره وخير البرية في العالم[(٤)]

بل حتى قول علي ﷺ نفسه، إن قبلناه:

(١) الرقيات، عبيدالله بن قيس(ت٧٥هـ)، **ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات**، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م، ص٩٠. ولنظر، المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٢٠٤. عبيدالله بن قيس الرقيات: شاعر قرشي من أهل مكة، فالمدينة، أقام بالرقة، كان من أنصار ابن الزبير (ت٨٥هـ).

(٢) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م، "وصي". ولنظر الزبيدي، السيد مرتضى(ت١٢٠٥هـ)، **تاج العروس**، الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ، "وصي".

(٣) الحسني، العباس بن أحمد، **تتمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير**، مكتبة المؤيد، الطائف: ١٩٦٨م، ج٥، ص١٦٥.

(٤) المنقري، **وقعة صفين**، ص٢٤. ولنظر، ص ص١٨، ٢٣، ٥٩، ٤١٦. الأشعث بن قيس الكندي: أمير كندة في حضرموت، أسلم، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، وكان من أنصار علي ﷺ، توفي بالكوفة سنة (٤٠هـ)

أن يقرنوا وصيه والأبترا[1]

فإذا قبلناها، فلاشك أننا سنقبل في ضوء هذا قول أبي الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ):

أحب محمدا حبـا شـديدا وعباسـا وحمزة والوصـيا
بنو عم النبـي وأقـربـوه أحب الـناس كلهـم إليـا
فإن يك حبهم رشـدا أصبـه وفيهم أسـوة إن كان غيـا

وبعدها:

هوى أعطيته منـذ اسـتدارت رحى الإسـلام لم يعـدل سويا
أحبهم لحـب الله حـتى أجـيء إذا بعثـت علـى

وبناء على هذا، فلنقبل هذا الفهم العام للوصية، حسبما قرره المبرد، ووفقما كان متداولا فـي ذلك الزمان، وهو كفهم الوزير أيضا، وأبيات أبي الأسود صريحة في هذا، فهي كقول أبي الطفيـل السابق الذي توجه لبني عباس ابن عبدالمطلب، وهم كلهم عنده بنو عم النبي وأقـربـوه، لا فرق بينهم إطلاقا، وهو ينضوي تحت ذلك الحب الشامل، الذي استدعى وصف علي ﷺ بالوصي. أما الفهم الخاص، فهو الفهم الذي استغلته مبكرا السبئية وربيبتها الكيـسانية. والغريـب أن هـذه المفردة قامت على الحديث الشريف: "من كنت مولاه، فعلي مولاه"[3].

ومع هذا، فهناك تفسيران لها، ولاسيما قول الأشعث وصي النبي، الأول: الوصـية بـالأمور الشخصية التي عرفها الشرع الإسلامي، والثاني: الولاية[4]. ولعل الجمهور فهم أن الوصية تعنـي حسب منطوق ذلك الشعر، حتى القول المنسوب لعلي ﷺ، إما أن عليا ﷺ هو الوصي علـى بنـي هاشم، كما كان حفيده، أبو هاشم، عبدالله بن محمد ابن الحنفية، يقول عن نفسه بعد مـوت أبيـه[5]،

(١) **المصدر السابق**، ص٣٣. الأبتر: والد عمرو بن العاص. وانظر شعرا منسوبا لعلي ﷺ وغيره، القزويني، السيد محمد كاظم، **الإمام علي من المهد إلى اللحد**، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ص٨٢، ١٧٢ -١٧٧.

(٢) الدؤلي، أبو الأسود(ت٦٩هـ/٦٨٩م)، **ديوان أبي الأسود الدؤلي**، تحقيق: عبدالكريم الدجيلي، شركة النشر والطباعة، بغداد، ١٩٥٤م، ج٣، ص ص١٧٧-١٧٨. وانظر، المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٢٠٥؛ الأصفهاني، **الأغاني**، ج٧، ص٢٤٢. ولقد ناقش محمد نافع، المصطفى نقاشا مستفيضا هذه الأبيات، وكانت نتيجته عدم تحقيقها لأبي الأسود الدؤلي، المصطفى، محمد نافع: **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة في القرن الأول الهجري**، دار المعارف، الإمارات، ٢٠٠١م، ج١، ص ص٣٦٣-٣٦٨، ٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٣-٣٨٦. وانظر رأيه في الأبيات الأخرى التي نالت من ابن الزبير، ص٣٨٦. أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو، عاش بالكوفة، ينسب إليه تنقيط المصاحف ووضع النحو.

(٣) الجاحظ، أبو عمرو، عثمان بن بحر، **العثمانية**، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٥م، ص١٤٨. وانظر، بقية الكتاب؛ القيسي، أبو رياش، أحمد بن إبراهيم(ت٣٣٩هـ)، **شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي**، تحقيق: داود سلوم و نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٩٧.

(٤) انظر، الحكيم، **الإمامة وأهل البيت**، ص ٢٣٠.

(٥) القمي، سعد بن عبدالله بن أبي خلف، **كتاب المقالات والفرق**، تحقيق: محمد جواد مشكور، حيدري، طهران، ١٩٦٣م، ص ص ٣٤-٣٥.

وإما أنها صيغة المبالغة من اسم المفعول، لا اسم الفاعل، أي: الموصى عليه، مثل: بديع، وجريح، وحبيب، عظيم، وقتيل...الخ. وليس هو صيغة المبالغة من اسم الفاعل، مثل: صديق، وكريم..الـخ! وإلى هنا فالفهم الأول هو الذي كان سائدا بين جمهور المسلمين والذي كان سائرا على ألسنة الناس والشعراء، والذي شرحه ابن منظور.

٤ - التذبذب في النسبة

بيد أن المسألة لم تعد محصورة في الشعر الموضوع، أو الصحيح النسبة، وإنما لدينا اختلاف في معرفة حقيقة توجه الشاعر، ولازلنا نؤكد أن مبحثنا هو شعر الكيسانية، وأن وصف أي شـاعر بأنه شيعي لايعني الانتماء إلى فرقة محددة سوى هذه في العصر الأموي كمـا تـدل عليـه كـل المعطيات الشعرية، أو أن يكون انتماء عاطفيا، أو ولاء سياسيا فقط، إلا أننا نجـد صـلاح الـدين الهادي يستشهد بقول أيمن بن خريم (ت٨٠هـ) للهاشميين:

نهـاركم مكابـدة وصـــوم ... ولـــيلكم صـــــلاة
وليـتم بالقـــران وبـالتزكي ... فأسرع فيكم ذاك البـــــلاء
بكى نجد غـداة غـد عليـكم ... ومكـــــة والمـــــدينة
وحـق لكـل أرض فارقـوها ... عليكم لا أبا لكم البـــــكاء
أألجعلكـم وأقوامـا ســـواء ... وبيـــــنكم وبيـــــنهم
وهـم أرض لأرجلكـم وأنـتم ... لأرؤسهم وأعيـــــــنهم

على أنه أحد الشيعة، يقول:

"فمن الشعراء الشيعيين من يجمع بين الأئمة جميعا، وقدم لهم صورة عامة، لا يخص مـنهم أحدا بعينه، وكأنما يوحي بأنه خطوط هذه الصورة وملامحها، وظلالها، محققة دائما في كل إمـام من أئمة آل البيت، لا فرق بينهم"[(١)].

فإذا صدق هذا القول، فكيف يجتمع مع قوله في عبدالملك وابنه، بشر:

أميـر المـؤمنين أقـم ببـشـر ... عمـود الـدين إن لـه عمـودا
ودع بـشرا يقـومهم ويحـدث ... لأهل الزيـغ إسـلاما جديـدا ؟

(١) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ١٠٢. ولنظر القتم، عبدالله ، **شعر أيمن ابن خريم**(ت٨٠هـ/٦٩٩م)، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، رسالة، ٢٠٢، حولية ٢٤، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ص ٢٧. خليف، مي يوسف، **قضية الالتزام في الشعر الأموي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٤٥. أيمن بن خريم الأسدي: كان ذا صلة بعبدالعزيز ابن مروان في مصر، ثم بأخيه بشر في الكوفة.

أنعال هذا "طمعا في عطائهم ليس غير"؟[1] كما يقول الهادي. وعلى العموم، فمدح الأئمة جميعا، لا يحقق التشيع الديني، وإنما هو حب وعاطفة جياشة لهؤلاء الأئمة، عبر عنها هذا الشاعر، مع ازدواجية في المواقف، لو صح هذا، فهو القائل:

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام يخشوا على مطمح الكف الذي

وهو القائل أيضا:

ثمانون ألفا دين عثمان كتائب شتى جبرئيل يقودها[3]

وليس هناك أدنى شك في أن الذي يدافع عن حق الأمويين دفاعا مستميتا إلى درجة القول:

من فرع آدم كابرا عن حتى انتهيت إلى أبيك العنبس[4]

وهي فكرة توازي فكرة الحق الإلهي الذي تبنته الكيسانية، لن –ولن- يكون أبدا متشيعا، أو حتى مواليا عاطفيا لآل البيت، الأمر الذي يبدو راجحا الآن أن ولاءه كان للأمويين، وأن تلك الأبيات الهمزية دخيلة عليه.

كما استحوذت قصيدة الفرزدق الميمية، فيما قيل: إنها في زين العابدين ابن علي رضي الله عنهما، على اهتمامات الباحثين، حتى يكاد تشيع الفرزدق لآل البيت يصبح مقررا، فمن الناحية التاريخية نجد أن أغلبية تميم ورؤسائها انضمت إلى علي ﷺ[5]، غير أنه لما تولى معاوية انضم إليه بنو تميم الذين كانوا مع علي[6]. يقول نعمان أمين طه:

"وكان علي متزوجا من نهشلية، ولعل هذا هو السبب في تعلق الفرزدق بآل البيت"[7].

كما يقول أحمد الفاضل عن تلك القصيدة:

"تظهر هذه القصيدة تشيع الفرزدق لآل البيت، وإن لم يكن له فيهم سواها؛ إذ حين مدح الأمويين كان مكتسبا، لا نرى في مدحهم لهم هذا الاندفاع العاطفي، بل يهجوهم حينا، ويمدحهم حينا آخر، مما تعكس مقدرة الشاعر على الارتجال...وفي هذه القصيدة تعبير عن اتجاه سياسي عرف عند الشيعة...." [8].

(١) القتم، **شعر أيمن بن خريم**، ص٣٥. وانظر، الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ٨٥.

(٢) القتم، **شعر أيمن بن خري**م، ص٣٣.

(٣) **المصدر السابق**، ص٤٢.

(٤) ابن جعفر، أبو الفرج، قدامة(ت٣٣٧هـ)، **نقد الشعر**، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢١٥.

(٥) طه، نعمان محمد أمين، **جرير حياته وشعره**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٠٧. وانظر ص ص ١١٣-١١٤.

(٦) **المصدر السابق**، ص١٠٨.

(٧) **المصدر السابق**، ص١٠٨.

(٨) الفاضل، أحمد، **تاريخ وعصور الأدب العربي**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٤٠. وانظر، فروخ، عمر، **شعراء البلاط الأموي**، مكتبة منيمنه، بيروت، ١٩٥٠م، ص ص١٧، ٢١، ٣٢-٣٣ .

ويقول مجيد طراد:

"إن اتصاله ببني أمية لم يخف تشيعه وحبه"[١].

على أنه على النقيض من ذلك نجد صلاح الهادي يقول:

"في الحزب الأموي يتربع الأخطل وجرير والفرزدق"[٢].

بل له شعر في يزيد بن عبدالملك يبلغ حد الغلو حين يقول فيه:

ولو كان بعد المصطفى من عبـاده نبي لهم منهم لأمر العـزائـم
لكنت الذي يخـتاره الله بعـده لحمل الأمانات الثقال العظائـم

وبعدهما:

تراث أبي العاصي لؤي بن غالب على أنف راض من معد وراغـم

ثم يحتج لبني أمية أيما احتجاج[٣].أما زين العابدين، علي بن الحـسين نفـسه، فعنـه يقـول الطباطبائي:

"حمل مع الأسرى إلى المدينة... عندما رجع الإمام الرابع إلى المدينة، اعتزل الناس في بيته، وتفرغ للعبادة، ولم يتصل بأحد سوى الخواص"[٤].

إنه رجل مسالم، لا شأن له بالأمور الدنيوية، ولا تعنيه تطلعاتها، وهذا مـا يـرجح –إن لـم يؤكد- أن هذه القصيدة التي لا تتفق إطلاقا مع أسلوب الفرزدق وطريقته، ليست للفـرزدق، وإنمـا لشاعر آخر قال عنه الآمدي:

"كثير بن كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين بن علي أنشد له دعبل بن علي: هـذا الذي تعرف البطحاء هيبته..." [٥].

وذكر الجراري عددا ممن نسبت إليهم الأبيات، وهم: الحزين الكناني في مدح عبدالملك بـن مروان، داؤد بن سلمة في قتم بن عبدالله بن عباس، ثم اللعين المنقري في مدح علي بن الحسين[٦].

(١) طراد، مجيد، **ديوان الفرزدق**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٩م، ص٧.

(٢) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص٢٢٨.

(٣) الفرزدق، همام بن غالب(ت١١٤هـ)، **ديوان الفرزدق**، تحقيق: إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص٥١٦. وانظر مدحه لحمزة بن عبدالله بن الزبير، ج١، ص٤١٩. وانظر، موقفه من عثمان ﷺ، الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٣، ص ص٣٦٣-٣٦٤.

(٤) الطباطبائي، **الشيعة في الإسلام**، ص ص٢٦٨-٢٦٩.

(٥) الآمدي، أبو القاسم، الحسن بن بشر(٣٧١هـ/١٩٨١م)، **المؤتلف والمختلف**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦١م، ص٢٥٦. وانظر، الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص١٦٩ . كثير بن كثير السهمي: الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم، وكان يتشيع، عاش حتى زمن هشام بن عبدالملك المتوفى سنة ١٢٥هـ.

(٦) الجراري، **في الشعر السياسي**، حاشية ص ص ١٤١-١٤٢.

على أنه إذا أردنا أن نجد ممثلا للميل العاطفي، بل السياسي، لآل البيت، دون تصنيف يذكر، فنجده في أعشى همدان (ت٨٣هـ)، الذي هجا المختار، ثم قال:

وإني امرؤ أحببـت آل محمـد وآثرت وحيا ضمنته المـصاحف[١]

فشعره كله نصرة لعبدالله بن الزبير، ونعي لأخيه مصعب، وعداوة للمختار، مع هذا الحـب لآل البيت[٢].

٥- نموذج من الشعر الموضوع في العصر الأموي

وفي خضم ما بعد هذه الأجواء أخذت أيادي العبث بالشعر تقوم بدورها، فهذا عباس الجراري يذكر أبياتا لزين العابدين بن علي (السجاد) (ت٩٤هـ/ ٧١٢م) تقول:

إني لأكتم من علمي جواهـ ـره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنـا
وقد تقدم في هـذا أبـو حـسـن إلى الحسين وأوصى قبله الحـسنا
فرب جوهر علم لو أبـ ـوح بـه لقيل لي أنت ممن يعبد الوثـ ـنا
ولاستحل رجال مـسلمون دمـي يرون أقبـ ـح ما يأتونه حسنا[٣]

ويخلو الديوان المنسوب لزين العابدين ﷺ من هذه الأبيات، إلا أن فيه بيتا يقول:

يحكم فينـا والحـ ـ ـكم لنـا جاحدنا حقنا وغاصبـ ـ ـنا[٤]

وتلك الأبيات من البسيط، وهذا من المنسرح، والصنعة واضحة في كلا القولين، فآل البيت لم يثوروا طلبا للحكم، وإنما ثاروا على الظلم والتعدي، والأبيات الأولى تصرح بعلم غيبي حلـولي، تنزه عنه الأئمة الأطهار؛ ثم إن زين العابدين نفسه كان منقطعا للعبادة والدعاء، ولم يكن مـشغولا بالشعر وقوله.

٦- السبئية

إلى هنا لا نجد شعرا عقديا، وإنما هي تعبيرات عامة، لم ينشأ عنها احتجاج أو استشهاد، ولم تتبن نظرية تؤسس لمعتقد، ومثل تلك التعبيرات العامة يطلقها الشعراء على غيـر علـي ﷺ مـن الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم، ومن الخلفاء الأمويين، بل على عمـالهم أيـضا. إلا أن العقيـدة

(١) أعشى همدان، عبدالرحمن بن الحارث الهمداني(ت٨٣هـ)، **ديوان أعشى همدان**، تحقيق: حسن عيسـ ـى أبو ياسين، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣م، ص١٤٣. عبدالرحمن بن الحارث الهمداني: الملقب بـ"الأعشى"، من أشراف الكوفة، شارك سنة (٦٥هـ) مع التوابين، كما شارك في ثورة ابن الأشعث ضد الخوارج، قتله الحجاج.

(٢) انظر، **المصدر السابق**، ص ص ٨١، ٨٤، ٨٧، ١٢٧-١٢٨.

(٣) الجراري، **في الشعر السياسي**، ص١٢٥.

(٤) ابن علي، زين العابدين ، **ديوان زين العابدين**، تحقيق: محمد عبدالرحيم، دار قتيبة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٤٤.

الكيسانية القائمة على السبئية جعلت الوصية[١] حقيقة، ووجهته نحو حديث غدير خم، بينما رأينا المبرد لا يخصه بذلك، ورأينا تطبيقه في شعر ابن الرقيات، ثم تكاملت الرؤية بما سنتبينه فيها. يقول شوقي ضيف، وهو يتناول الموضوع بشكل عام، إلا أن دراسته تنصب على العصر الأموي:

"وأساس عقائد الشيعة الإمامة وأنها من حقوق البيت النبوي، وقد ذهبوا إلى أن إمامة علي نص عليها الرسول ﷺ، فقد أوصى له، ومن هنا تأتي عقيدة الوصية التي يدين بها الشيعة جميعا، كما يدينون بأن أئمتهم يمتازون بصفات روحية كثيرة، فهم معصومون، وعندهم من العلم كل ما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم"[٢].

ونستنتج من قول شوقي ضيف الآخر:

"أنكر بعض أبناء الحسين فكرة الوصية"[٣].

ما يؤيد قول المبرد من كون الفكرة في مبدئها فكرة عامة وليست خاصة. وعلى تلك الأسس التي مرت، قامت فرقة السبئية. وعلى الرغم من أن الكتاب المعاصرين كانوا عندما يكتبون عن الشعر الأموي، ينقلون تصوراتهم عن الشيعة الإمامية، كما جاء في أول الحديث، وليس للإمامية دخل في هذا، فشعراؤها متأخرون عن العصر الأموي، مجال اختصاصهم، الذي يتوجه هذا البحث إليه، فلقد طرح هؤلاء تصورات السبيئة عن تلك العقائد، تمثلت في تأليه علي ﷺ، يقول الهادي:

"نادى عبدالله بن سبأ...بأن عليا فيه طبيعة إلهية... ولما وصلت مقالة ابن سبأ إلى مسامع علي أنكرها أشد الإنكار، وغضب على ابن سبأ غضبا جعله ينفيه إلى ساباط المدائن، واستتاب بعض أتباعه من غواة الكوفة، ولكنهم لم يتوبوا فأحرقهم في حفرتين، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

لترم بي الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين

وبعد مقتل علي نادى ابن سبأ برجعته، وأنه لم يمت..." [٤].

وهكذا، شكل موت علي ﷺ هذه العقيدة، عقيدة الغيبة والرجعة التي أرجعت القضية إلى علاقتها بالإمامة، وما تضمن ذلك من ولاية ووصية، يقول الهادي أيضا:

(١) انظر، المظفر، محمد رضا، **عقائد الإمامية**، الشريف الرضي، بيروت، د – ت، ص ص ١٠٠-١٠٢، ١٠٦ -١٠٧. اسمه اسمي، ص ص١٠٥. الطباطبائي، **الشيعة في الإسلام**، حاشية ص٢٨. وقارن هذا بـ الخطيب، محب الدين، **الخطوط العريضة**، السلفية، القاهرة، ١٣٩٣هـ، ص ص ٧٦-٨٤؛ خليف، يوسف، **حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ص ٢٨٥-٢٨٨.

Hogon, M.G.S "Abdall b. Saba", E.I. E. J. Brill, Leiden: 1986, V.1. P.51.

(٢) ضيف، **التطور والتجديد**، ص ٩٢. وانظر، الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ص ٣٥-٣٩.

(٣) ضيف، **التطور والتجديد**، ص٩٤.

(٤) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص٣٣-٣٤. وانظر، ص ص٤١ -٤٢.

"السبئية ترى أنه الإمام علي، وأنه سيرجع؛ لأنه حي لم يمت، ولن يموت حتى يملأ الأرض عدلا"(١).

ولسنا في مجال إثبات حقيقة ابن سبأ من نفيه، إذ لم تأت النسبة من فراغ حين يقول بكير بن وائل الطاحي الأزدي، في أحداث سنة (٥٢هـ)، أيام زياد بن أبيه، في وقت مبكر؛ لا يفصله عن مقتل علي ﷺ إلا سنيات:

وهل هي إلا عصبة سبئية دعاها مضل للهوى وأضلت(٢)

وحين يقول الفرزدق:

تعرف همدانية سبئية وتكره عينيها على ما
من الناكثين العهد من سبئية وإما زبيري من الذئب

فإنكار السبيئة يستدعي إنكار الزبيرية، فهذا تحقيق لها. وكقول أعشى همدان:

شهدت عليكم أنكم سبئية وإني بكم يا شرطة الكفر

٧- الكيسانية (الكربية)

ولم نحظ بشعر لمنتسبي السبئية، إلا أن الباحثين يرجعون الكيسانية إلى السبئية، ويخصون بها مبادئها، ويعينونها تعيينا بأنها الكيسانية نسبة إلى أبي عمرة، كيسان، أحد الموالي الفرس، الذي تحزب له كثير من الموالي الفرس في جيش المختار(٥)،يقول الهادي:

"ابن سبأ...كان...رأس فرقة عرفت في تاريخ التشيع بالسبئية، نسبة إليه، كانت آراؤها من الأسس التي قامت عليها بعض الفرق الغالية من الشيعة كالكيسانية"(٦).

ويحدد الهادي أهم مبدأ قامت عليه الكيسانية، فيقول:

(١) **المصدر السابق**، ص٤٠. ولنظر، طعيمة، **الشيعة معتقدات ومذهبا**، ص ص ٦٣-٦٤؛ المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج١، ص ص ٢٩٦، ٣٠٠-٣٠٧.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ج٥، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م، ص١٨٥ .

(٣) الفرزدق، **ديوان الفرزدق**، ج١، ص ص٤٠٤-٤٠٥.

(٤) أعشى همدان، **شعر أعشى همدان**، ص ١٤٢. لنظر، الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص ٣٩-٤٠؛ ضيف، **التطور والتجديد**، ص ص ٩١، ٩٣.

(٥) لنظر عن هذه التسمية، أبا الفتح، الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم(ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **الملل والنحل**، تحقيق: أحمد فهمي محمد، حجازي، القاهرة، ١٩٤٧م، ج١، ص ص٢٣٦-٢٤٢؛ كثير عزة، كثير بن عبدالرحمن(ت١٠٥هـ)، **ديوان كثير**، تحقيق: إحسان عاس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م، مقدمة المحقق، ص٢٧؛ طعيمة، **الشيعة معتقدات ومذهبا**، ص ص ١٥٦-١٧٣؛ خليف، **حياة الشعر في الكوفة**، ص ص ٢٩٠-٢٩٢؛ المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج١، ص ص ٣٠٨-٣١٦. Dixon, A.A. "Kaysan", E.I. E. J. Brill, Leiden, 1990, p. 836.

(٦) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص٣٤.

"وعمدة مقالة الكيسانية، أن الدين طاعة رجل، يعتقدون فيه الإحاطة بالعلوم كلهـا، ومعرفـة الأسرار، من علم التأويل والباطن وغيرهما"(١).

أما الأساس الذي استندت إليه العقيدة الكيسانية، كما السبئية، فهو الوصـية- ومتـضمناتها- فالرجعة، إذ خرجت الأولى كلية من الفهم العام السابق، لتقررها مبدأ مطلقا، على الحقيقة، لا علـى المجاز، ونقلت هذا المفهوم تصريحا من علي إلى محمد ابن الحنفية رضي الله عنهما، مبتعـدة بـه عن بقية إخوته، يقول شوقي ضيف:

"أما فرقة الكيسانية فزعيمها المختار الثقفي. ولم يكن يدعو لأحد من أبناء فاطمة إنمـا كـان يدعو لمحمد بن الحنفية بن علي، وكان يزعم أنه هـو الذي أوصى له أبوه من بعده. ويظهر أنه رأى أن أبناء فاطمة لا يرتضون الغلو فيهم، فقد أنكر الحسن رجعة أبيه.، وأنكـر بعـض أبنـاء الحسين فكرة الوصية، فعدل إلى ابن الحنفية وتبع ابن سبأ في كثير مما زعمه. وكان يزعم أنه هو الذي أوصى له أبوه من بعده...وتبع ابن سبأ في كثير مما زعمه"(٢).

وأما الغيبة والرجعة، فلم تعد خاصة بعلي ﷺ، وإنما أصبحت محصورة في ابن الحنفية، كما في أبيات السيد الحميري التالية، على أنها أصل الكيسانية:

يا شعـب رضوى ما لمن بك لا ... حتى متى تحمي وأنت قريـب
يا بن الوصي ويـا سـمي ... وكنيه نفسي عليـك تـذوب
لو غـاب عنـا عـمر نـوح ... منا النفوس بأنه سيـؤوب(٣)

ومن ذلك قول كثير المنسوب إليه:

لك الويل من عيني خبيـب وثابت ... وحمزة أشـباه الحـداء التـوائم
تخبر من لاقيت أنك عائـذ ... بل العائذ المظلوم في سـجن عـارم
ومن ير هذا الشيخ بـالخيف مـن ... من النـاس يعلم أنه غيـر ظـالم
وصـي نبـي الله وابـن ... وفكاك أغـلال وقاضـي مغـارم(٤)

فهنا تهجم على ابن الزبير خبيب، وتعريض بأبنائه، الأمر الذي يعني إثبات فكـرة الوصـية لابن الحنفية، ولأبيه من قبله، علي بن أبي طالب ﷺ، في عقيدة الكيسانية التي انتهجت نهج السبئية في هذا. والبيت الأخير في الوصية حقيقة، وليس مثلما قرأ المصطفى: سمي نبي الله، وهكذا، ذكره

(١) **المصدر السابق**، ص٣٤. وانظر، ضيف، **التطور والتجديد**، ص٩٤.

(٢) ضيف، **التطور والتجديد**، ص٩٤. وانظر، طعيمة، **الشيعة معتقدات ومذهبا**، ص ص ١٨٨-١٨٩؛ الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص ص ٢٥-٣٦؛ وعن موقف أهل السنة من الوصية، حاشية ص١٥٩.

(٣) ابن أبي خلف، **كتاب المقالات والفرق**، ص٣٦.

(٤) كثير عزة، **ديوان كثير**، ص٥٢١.

الأغاني[1]، إذ إن ابن الحنفية ليس ابن عم الرسول ﷺ، وإنما ابن وصيـ ـ ـ ـه،حسب اعتقاد القائل هنا، وهو غير كثير.

٨- نسبة كثير عزة (ت١٠٥هـ) إلى الكيسانية الكربية

وإذا كان السيد الحميري علما من أعلام الكيسانية البارزين، فإن شاعرا آخر جعلوه منتميـا للكيسانية الكربية هو كثير عزة وفصلوه عن الأموية، ليس بين المعاصرين فحسب، بل بين القدماء أيضا، وهو يبرز على أنه شاعر الكيسانية الأول، يقول عنه أبو الفرج:

"كان غاليا في التشيع، يذهب مذهب الكيسانية، ويقول بالرجعة والتناسخ"[٢].

ويقول:

"كان كثير تشيع تشيعا قبيحا، يزعم أن محمد ابن الحنفية لم يمت"[٣].

ويقول شوقي ضيف:

"وشاعر هذه الفرقة المشهور كثير"[٤].

كما يقول:

"ولا نصل إلى سنة ٦٥ للهجرة ودعوة المختار الثقفي لابن الحنفية، وتكوينه نظرية الكيسانية، حتى يصبح أكبر بوق لهذه النظرية بكل ما يداخها من غلو ومن أفكار متطرفة، كفكرة التناسخ وأن قبس النبوة لا يزال يتنقل في علي وأبنائه"[٥].

وبما أن فكرة الغيبة والرجعة تحتل المقام الأسمى في عقيدة الكيسانية، فإن كثيرا كان يعبـر عنها، حسبما يرى شوقي ضيف في قوله:

"كان يعتقد في الرجعة أشد الاعتقاد، فلما توفي ابن الحنفية لم يؤمن بوفاته، وذهب ينادي في الناس....تغيب..." [٦].

ويقول أيضا:

(١) المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج٢، ص٤٠٥. الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص ١٥. وبالمثل، فإن رواية المبرد، **الكامل**، ج٣، ص٢٠٤: وابن عمه، أراد: ابن وصي النبي، علي بن أبي طالب، والعرب تقيم المضاف إليه مقام المضاف؛ الأفضل أن تكون كما في الديوان.

(٢) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص ٤. وانظر، ص ص ١٦-١٨؛ ج١٥، ص٢٢٥.

(٣) ضيف، **التطور والتجديد**، ص٩٤.

(٤) **المصدر السابق**، ص٩٥.

(٥) ضيف، شوقي: **العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ص٣١٩-٣٢٠.

(٦) ضيف، **التطور والتجديد**، ص٩٥

"والحق أن كثيرا ظل مخلصا لعقيدته الشيعية، وهو إخلاص لا يقف عند إشادته بابن الحنفيـة ووصفه بأنه مهدي أو وصي، أوصى له علي. بل يتجاوز ذلك إلى استشعاره ما كان يـؤمن بـه الكيسانية من رجعة أئمتهم بعد مماتهم، فهم لا يموتون، بل يغيبون مدة من الزمن ثم يعودون"(١).

ويؤكد صلاح الدين الهادي هذا المبدأ باستشهاده بقول كثير:

ألا إن الأئمـة مـن قـريش ... ولاة الحق أربعـة سـواء
علـي والثلاثـة مـن بنـيه ... هم الأسباط لـيس بهـم خفـاء
فـسبط سـبط إيمـان وبـر ... وسـبط غيـبته كـربلاء
وسـبط لا تـراه العـين حتـى ... يقود الخيل يتبعـها اللـواء
تغيـب لا يـرى عـنهم زمانـا ... برضوى عنده عسل ومـاء(٢)

على أن مبادىء الكيسانية التي خرجت بالوصية من علي إلى ابنه محمد ابن الحنفية رضـي الله عنهما، وقررت حقيقة الغيبة والرجعة، أضافت إليهما فكرة أخرى هي فكرة المهدي، وفقا لمـا جاء في شعر كثير، يقول صلاح الدين الهادي:

"أما شعراء الكيسانية فيرددون في أشعارهم عقائد مذهبهم، التي لا تخلو من عناصر دخيلـة على العقيدة الإسلامية. وأكثر عقائدهم دورانا في أشعارهم، عقيدة المهدي...كثير...:هـو المهـدي خبرناه كعب..." (٣).

لقد جرت هذه العقائد في الكيسانية إلى ما قال عنه صلاح الدين الهادي، مستشهدا بقول كثير:

"ويتولى كثير التعبير عن هذه العقيدة الغالية، فيقول:

برئت إلى الإله من ابـن أروى ... ومن ديـن الخـوارج أجمعينـا
ومن عمر برئت ومن عتـيق ... غداة دعي أميـر المؤمنينـا"(٤)

٩- عدم صلة كثير عزة بالكيسانية

تعيدنا تلك الأقوال إلى المسألة الأولى وهي كيسانية كثير التي تتعارض كلية مع قولـه فـي عثمان ﷺ:

برئت إلى الإله من ابن أروى

وقوله في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

ومن عمر برئت ومن عـتيق ... غداة دعي أمير المؤمـنينا

(١) **المصدر السابق**، ص٣٢٢.

(٢) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص١٢٣. وانظر، ص١٠٦؛ ضيف، **التطور والتجديد**، ص٩٤؛ الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص١٤.

(٣) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص١٢٣.

(٤) **المصدر السابق**، ص١٢٤.

ذلك ما لا يليق بكثير قط، ولو قال هذا، لانعكس على أشعاره، لا أن تأتي أقوال مبتورة كهذه تنسب إليه، فتصبح مقبولة! وإذا كانت رفقة كثير لمحمد ابن الحنفية قد وصلت إلى ذلك الحد من الارتباط، فلماذا لم يأت شعره ذاك على غرار شعره في بني أمية؟ ولماذا لم يبح بعواطفه تجاهه، فيأتي شعرا غزيرا في التوسل إليه والنواح عليه؟

لقد عبرت بعض تلك الأبيات السابقة عن رفض لخلافة الخلفاء الثلاثة ﷺ، وذلك قبل إعلانها في ثورة زيد بن علي بن الحسين، في العراق، وليس في المدينة، فالشعر كله شعر موضوع يخدم هذا المعتقد المتأخر، ولا دخل لكثير، ولا لأهل المدينة به. ويثبت هذا مقولة الأغاني عنه: كان غاليا في التشيع، فالذي وضع هذا الشعر، كان من الكيسانية، التي أخذت معالم معتقداتها تتضح رويدا رويدا، وتتكيف مع أحداث العصر الأموي، فكان ابن الحنفية رمزها الأول. وليس هناك أدنى شك في أن هذه الأبيات الهمزية ليست لكثير، وإنما للسيد الحميري، فهذا أسلوبه وطريقته[1].

بدأت قصة كيسانية كثير مع حادثة سب الصحابة على الملأ في مكة، التي قام بها خندق بن مرة الأسدي الذي زعم أنه صديق كثير الذي تعهد له بكفالة أهله، بعده، والذي رثاه بقوله:

حلفت على أن قد أجنتك حفرة ببطن قنونى لو نعيش فنلتقي[2]

وقوله:

محل أخي بني أسد فما والى إلى بر ك الغماد
مقيم بالمجازة من وأهلك بالأجيفر والثماد[3]

إن أهمية هذا التحديد تتضح في القصة التي تدور حول مقتل صديق كثير المزعوم، خندق الأسدي، وعلاقة ذلك بما راج عن مذهبه الكيساني؛ فالشعر يخبر أن خندقا من بني أسد: وأهلك بالأجيفر فالثماد، والرجل قتل مرتين: مرة في الموسم، أي: في مكة، عندما جاهر برأيه، ومرة في "قنونى"، وهذان أمران لا يلتقيان قط، فإما أن يقتل في مكة، ويدفن بها، وإما أن يقتل في "قنونى" ويدفن بها، وليس هناك عدا ذلك، فالمسافة بين مكة و "قنونى" بعيدة جدا، لا ينقل إليها جثمان رجل مغضوب عليه كخندق. وليس في القصيدتين إشارة إلى معتقد، وإنما هو رثاء فقط. بل إضافة إلى ذلك، فما دار عن علاقة كثير العقدية غير صحيح، وإنما أسدى خندق يدا لكثير، فحفظها له كثير، فلما مات، رثاه[4]. والغريب في الأمر أن خندقا من بني أسد، حيث بلاده الأجيفر فالثماد: في شمال الجزيرة العربية، فلماذا ينقل إلى "قنونى" في جنوبها؟

(١) انظر، الأصفهاني، **الأغاني**، ج٧، ص ص ٢٣٨-٢٣٩.
(٢) **المصدر السابق**، ج١٢، ص١٧١. كثير عزة، **ديوان كثير**، ص٢١٧.
(٣) الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٢، ص١٧٥. كثير عزة، **ديوان كثير**، ص ص ٢٢١-٢٢٢.
(٤) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص٨.

وإزاء هذا الخبر، فإن ما تردد عن كيسانية كثير كان ينبغي الالتفات إليه، فلو قرأنا شعر كثير، لما وجدنا أية عاطفة دينية كيسانية، ولا يعقل أبدا أن يخفيها، وهو يقدم هذا الإقدام على التضحية بصديقه، لإعلان مبدئه. وما نسب إليه من شعر عقدي ضعيف جدا، لا يقارن بشعره إطلاقا؛ ألا ينبغي لرجل يحمل مثل تلك التضحية، ويكن في صدره مثل ذلك التيقن أن يصدر منه شعر يعبر عن حب لعلي ﷺ وبنيه، وأن يخرج شيئا مما يتقيه؟ ولماذا نجد هذه العاطفة حارة صادقة في بني أمية؟ أيزيف الشاعر العواطف إلى هذا الحد، ثم يأتي بشعر له تأثير كذلك التأثير؟

إن ما تردد في كتب الأدب عن كيسانية كثير، وأن بني أمية كانوا يعلمون بتوجهه، إنما جاء مدخولا في أخباره، ومحاولة للزج بكثير في الكيسانية؛ لأنهم وجدوا من نسب له شعرا ضعيفا، لا يليق به، في ذلك، وهناك شعر لغير كثير في النسيب دخل شعره، فنسب له. وما هذه القصة الملفقة إلا إحد الأدلة على مثل ذلك الصنيع. إن السؤال المطروح والملح في هذه القضية هو: لماذا اختفت أية إشارة إلى هذا المعتقد في هاتين القصيدتين؟ أتظل التقية متوارية حتى في هذا الظرف العصيب المشحون بالعواطف جدا؟[١]

وهناك بقية قصيدة في رثاء عبدالله بن جدعان تقول:

سقى الأمطار قبر أبي زهير إلى (سقف) إلى بـرك الغماد[٢]

وروح هذه القصيدة –على ما تبقى منها- رثاء يلتقي مع تلك القصيدة، فهي رثاء لشخص عزيز، وليس لابن جدعان ذلك التوجه الديني في الجاهلية، وقصيدة كثير تسير على المنوال نفسه، رثاء لصديق عزيز، ولا يحمل بعدا عقديا. وأين المناحة في رثاء ابن الحنفية نفسه، فلا أثر لها أبدا في ديوانه؟ وكيف يلتقي ذلك المدح، وتلك العاطفة الحارة في بني أمية مع إثبات فكرة المهدي لابن الحنفية، فيقول:

هو المهدي خبرناه كعب أخو الأحبار في الحجج الخوالي[٣]

أليس هذا –إن صح- في عبدالعزيز بن مروان، وليس في ابن الحنفية، فقد راجت هذه الفكرة في الأمويين، ولا سيما سليمان بن عبدالملك، في شعر جرير؟ ولعلها في عمر بن عبدالعزيز الذي رثاه كثير، والذي لقبه جرير هذا اللقب أيضا. وكيف يقبل ذلك الشعر المدخول على كثير، وكثير نفسه القائل في بني أمية:

(١) انظر، كثير عزة، **ديوان كثير**، مقدمة المحقق ص٢٩.

(٢) الحموي، شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، "برك الغماد". وانظر الثقفي، أمية بن أبي الصلت، **ديوان أمية بن أبي الصلت**، تحقيق: بهجة عبدالغفور الحديثي، العاني، بغداد، ١٩٧٥م، ص٢٠٢.

(٣) كثير عزة، **ديوان كثير**، ص٢٣٢.

تذكرت أن النفس لم تسل عنكم ولم تقض من حبي أمية بالها[1]

وقوله:

أبوك الذي لما أتى مرج راهط وقد ألبوا للشر فيمن تألبا
تشنأ للأعداء حتى إذا انتهوا إلى أمره طوعا وكرها تحببا[2]

كان كثير منقطعا إلى بني أمية، ابتداء بعبد الملك، وانتهاء بعمر بن عبدالعزيز، ولم يكن مزدوج الولاء، فما يقوله في عبدالعزيز بن مروان –الذي كان كثير الترداد عليه- لم يكن عن تقية أو محاباة، وإنما كان صادقا في مدحه؛ فنحن بين أمرين، إما أن نقبل قوله:

مكان الخلائف بعد الرسو ل لله كلهم تابعا
شهودان من بعد صديقهم ومكان ابن حرب لهم رابعا
ومكان ابنه بعده خامسا مطيعا لمن قبله سامعا
ومروان سادس من قد مضى ومكان ابنه بعده سابعا[3]

على أنه اعتراف صريح بالخلافة الراشدة –صارفا الرأي عن علي ﷺ- ثم بالأمويين. وإما أن ندعي أنه استثنى عليا تقية، كما فعل في قوله الآخر:

مكنت المعلى إذ أحلت قداحهم ومال المنيح مسطها متقلقل

فهو يعني بـ"المعلى" عبدالملك أيضا. وهو ما ذهب إليه شوقي ضيف، بناء على تفسير الطرماح[4].

وهذا ما لا يتوافق أبدا وطريقة كثير في قول الشعر، بل لا يتفق حتى مع تفكير عصره، وتكوينه الأعرابي، الذي لم يعهد الخوف والمجاملة، والتورية. وهل يجوز على مثل عبدالملك مثل هذه الأقوال، وهو الفطن البصير؟ وهل يغفل عبدالملك عن التعريض به في قوله:

يقلب عينيه حية بمحارة إذا أمكنته شدة لا يقيلها[5]

يريد: أنه حية تلدغ؟ وليس في شعر كثير إلا هذه الصراحة في المدح التي تنسجم مع معطيات عصره والسابقة على ثقافة من بعده. وهل غاب عنه قول إمامه، لو كان ابن الحنفية إمامه حقيقة:

"أهل بيتين من العرب يتخذهما العرب أندادا من دون الله: نحن...." [6].

(١) **المصدر السابق**، ص٧٨.

(٢) المرزباني، أبو عبدالله، محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، **معجم الشعراء**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢٤٢.

(٣) كثير عزة، **ديوان كثير**، ص٤٩٥. وانظر، الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٢، ص٣٧.

(٤) انظر ، ضيف، **العصر الإسلامي**، ص ص٣٢١-٣٢٢؛ الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٢، ص٣٧

(٥) كثير عزة، **ديوان كثير**، ص٢٦١.

(٦) ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ج٥، ص٧٠. وانظر، ضيف، **التطور والتجديد**، ص٩٦.

أي: أنه كان يعلم حق العلم أن محمد بن الحنفية ليس وصيا، وليس مهديا منتظـرا، وأنـه لا ينكر خلافة من سبقه أو يطعن فيهم. وعلينا أن نلاحظ بدقة هذا الترتيب الحسابي في الخلفـاء منـذ أبي بكر ﷺ حتى عبدالملك، وهو أسلوب لا نجد له نظيرا في شعره، فهذا نظم، وذلك شعر.

كان ابن الحنفية ﷺ نفسه ينكر كونه المهدي حسب تصور الكيسانية، ويقول:

"أنا مهدي أهدي إلى الرشد والخير، اسمي اسم نبي الله، وكنيتي كنية نبي الله"(١).

وليس في ديوان كثير شتم لعائشة رضي الله عنها، ولا لبقية الصحابة، وهـو مـن أصـول العقيدة الكيسانية –وما زعم أن خندقا الأسدي قال به- فلماذا خلا شعره منه؟ وهل كان أهل المدينة آنذاك –وكثير منهم- يتحملون تلك الأفكار الغالية، وبين ظهرانيهم أبناء علي وأحفـاده رضـي الله عنهم جميعا-وبعضهم، إن لم يكـن كلهـم- يـرفض، وهـم فـي المدينـة- رجعـة علـي ﷺ وغيـبته،فكيف برجعة ابن الحنفية؟؟ أيصح أن يستمع علي بن عبدالله بن جعفر إلى كثير يقـول في ابن الحنفية:

أقـر الله عـينـي إذ دعـاني أمـين الله يلطـف فـي

ثم يقول:

هـو المهـدي خبرنـاه كعـب أخو الأحبار في الحقـب الطـوال(٢)

فهي موجهة في ابن الحنفية، بعد موته، تعني ما تعنيه، ولكنها ليست له. وما اختيار المختار الثقفي لابن الحنفية إلا تأكيد قاطع على رفضهم الفكرة من أساسها.

ظهرت دعوة الكيسانية على يد المختار الثقفي بالكوفة سنة(٦٥هـ)، وقتل سنة(٦٨ هـ)، على يد مصعب بن الزبير، فالعقيدة كوفية عراقية، ولم يتولها ابن الحنفية نفسه، فكيف تلقفها كثيـر وهـو صاحبه، كما يقال، وابن الحنفية نفسه ينكر مثل تلك البدع؟ أليس القائل غير كثير، ممن تحزب لابن الحنفية؟

إن خلو شعر كثير من شتم بعض أزواج النبي ﷺوبقية الصحابة–على غرار شـعر الـسيد، ومتابعة لرفيقه المزعوم، خندق- يخرجه أولا من الكيسانية؛ لأنه أخل بمبدأ من مبادئها، وهذا يعني أنه ليس منها. وهو يقتدي بإمامه –إن وافقنا على ذلك- وإمامه لا يجيز ذلك، فهو لـيس كيـسانيا ثانيا. وكثير يعلم علم اليقين أن إمامه –إن صحت صحبته له، ويبدو ذلك صـعب القبـول- مـات (٨١هـ)، مثلما يموت كل الناس، ودفن بالبقيع، بالمدينة، عيانا بيانا، ولابد أنه شهد دفنه، أو تأكـد من ذلك، فما الذي دفعه إلى الاعتقاد بغيبته حيا يرزق وبرجعته؟ فهو أموي الهوى، أعرابي الطبع،

(١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٥، ص٧٠. وانظر، ص٧١.

(٢) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص١٦.

أضاف له من بعده ما نسبوه إليه من هذه الأشعار الملفقة. ومن الناحية الفنيـة، فهـذه الأشـعار المقطوعات لا تتفق مع الطابع العام لشعره الذي يصوره شاعرا تقليديا نمطيا واقعيا إلى أبعد حدود الواقع، انصبت أشعاره على مدح الأمويين، وبخاصة عبدالعزيز بن مروان منهم.

وكيف يتشبث كثير بعقيدة المختار الثقفي، وإمامه –إن قبلنا هذا- يتبرأ من المختار، وينـأى بنفسه عنه، فيعده كذابا، ورأيه فيه ليس بحسن[1]. بل كيف تتوافق عقيدته في ابن الحنفية مع اعتقاده بنبوة بني حسن بن حسن؟ [2]

حقا كانت فكرة المهدي معروفة في الأوساط الإسلامية في زمانه، ولكنها لم تـرتبط بالغيبـة والرجوع، وإنما ارتبطت بالواقع كما هو، أي: أن المهدي مثل الحق والعدل والسلام، وهذا واضـح كل الوضوح في إسباغها على هشام بن عبدالملك الذي قال فيه جرير:

إلى المهـدي نفـزع إن فزعنـا ونسـ ـ ـتسقي بغرته الغماما[3]

كما قال في سليمان بن عبدالملك

سـليمان المبـارك قـد علمـتم هو المهدي قـ ـد وضح السبيل[4]

وقال في عمر بن عبدالعزيز:

أنت المبـارك والمهـدي سـيرته تعصي الهوى وتقوم الليل بالسور[5]

وهل يبلغ شاعر الحد الذي يقول فيه:

إن امرءا كانـت مـسـ ـ ـاوؤه حب النبي لـ ـغير ذي ذنـ ـب

وبني أبي حـسـ ـ ـن ووالـدهم من طاب في الأرحـام والـصلب

أترون ذنـ ـ ـ ـبا أن نحـبهم بل حبهم كفـ ـارة الذنـ ـ ـب[6]

ثم يواري عواطفه واتجاهه؟ وأين تمييز ابن الحنفية من بين بني أبي حسنﷺ؟ ألسنا هنا أمام شخصية أخرى غير شخصية كثير؟ أليس هذا الشعر خالصا بعبد الله بن كثير، حسبما نص عليـه الجاحظ؟[7]

(١) انظر ، ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٥، ص ص ٧٢، ٧٤، ٧٩، ١٦٤؛ المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج١، ص ص ٣٠٨-٣٠٨، ٣٣٦-٣٥٠.

(٢) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص ص ١٧-١٨.

(٣) اليربوعي، جرير بن عطية بن الخطفى(ت١١٤هـ)، **ديوان جرير**، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ج١،ص٢٢٥.

(٤) اليربوعي، **ديوان جرير**، ج٢، ص٧١٧.

(٥) **المصدر السابق**، ج١، ص١٦. وانظر، الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ص٤١-٤٢.

(٦) كثير عزة، **ديوان كثير**، ص٤٩٤. وانظر، الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص٨٩.

(٧) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٣، ص٣٦٠.

إن المقارنة بين هذه المقطوعات وشعر كثير على غزارته، لتثبت أنها ليست له، وأنها أنسب بكثير بن كثير السهمي القائل:

لعـن الله مـن يـسب عليـاً وحسينا مـن سـوقة وإمـام[١]

أو أخوه عبدالله[٢]. وكثير السهمي هذا هو الذي سبق أن رأيناه حقيقة يتوجه إلى ابن الحنفية في القصيدة المنسوبة للفرزدق:

"كثير بن كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين بن علي أنشد له دعبل بن علي:

هذا الذي تعرف البطحاء هيبته...".

وليس أدل على نسبة ذلك الشعر إلى كثير من أن الأبيات التي ذكر فيها:

تخبر من لاقيت أنك عائـذ بل العائذ المظلوم في سجن عارم

فهي تنسب أيضا لمحمد بن كثير[٣]، شاعر آخر غير الاثنين. فمن الواضح أن شـعر كثيـر تعرض إلى التحريف والإضافة، فمثلا لا توجد الأبيات البائية السابقة في الديوان. ثم نجد ما يتوافق مع نتيجة ما جاء هنا في قوله:

أنـت إمام الحق لـسنا نمتـري أنت الذي نرضـى ونرتجـي

أنت خير الناس من بعـد النبـي يا بن علي سر ومن مثل علـي

حتـى تحـل أرض كلـب وبلـي[٤]

وهذا مديح عام، مهما بالغ فيه. غير أن هناك رواية تقول:

ما مت يا مهدي يا المهـتدي

وفيها:

بين لنا وانصح لنا يا بن الوصي[٥]

والأولى هي ما يتناسب مع الأجواء الدينية المحيطة بكثير، أما الثانية، فتوجيه نحو الكيسانية.

لقد لفقت على كثير أقوال كثيرة ما يحسن أن تنطبق عليه. وواقع كثير، المستغرق في عزة، الساعي إلى بني أمية، لا يسمح له بأن يكون غاليا، يؤمن بالتناسخ، فهذه أفكار بعيدة عن رقـة إحساسه ومشاعره، ومستوى تفكيره، ولا تلتقي مع إبداعه وانشغاله بذاته. والأمر واضـح الآن، فواحد من الثلاثة: عبدالله بن كثير، أو كثير بن كثير، أو محمد بن كثير – أو ربما سواهم – قـال هذا الكلام، فحذف الاسم الأول، واستبقي الأب كثير، ليصبح الاسم أخيرا: كثير؛ وهكـذا، انتـسب

(١) المرزباني، **معجم الشعراء**، ص٢٤٠.

(٢) انظر، الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج٣، ص٣٦٠.

(٣) الحموي، **معجم البلدان**، "عارم".

(٤) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج٥، ص٨٠.

(٥) ابن أبي خلف، **كتاب المقالات والفرق**، ص٢٩. وانظر، المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج٢، ص٤٠٦.

كثير عزة إلى الكيسانية وهو بريء منها. وقد يكون كثير متعاطفا مع آل البيـت، ولكنـه لـيس - كيسانيا بحال من الأحوال[1].

١٠- نسبة عبدالله بن همام السلولي (ت٨٠هـ) إلى الكيسانة الكربية

وسواء اتفقنا على أن عبدالله بن همام السلولي موافـق للعقيـدة الكيـسانية أو أن الظـروف السياسية، بسيطرة المختار وبطشه، دفعته إلى هذا النفاق السياسي، فما بين أيدينا من قول له يعكس هذا المعتقد، فمن ذلك قوله، مشيرا إلى المختار:

فمر وزير ابن الوصـي علـيهم وكان لهم في الناس خـير شـفيع[2]

ومنه قوله في ابن الحنفية:

فآب الهدى حـقا إلى مـستقره بخير إياب آبـه ورجـوع

إلى الهـاشمي المهتدي المهتدى فنحن له من سامع ومـطيع[3]

١١- شعراء الكيسانية الحقيقيون

ولا خلاف بين القـدماء والمعاصرين في أن السيد الحميري (١٠٥-١٧٣ هـ) كـان ممثلا صريحا للكيسانية الكربية، حيث يحتل مبدأ الإمامة المقام الأسمى عندهم، يذكر أبو الفرج:

"ما مضى – والله- إلا على مذهب الكيسانية"[4].

كما يذكر:

"كان يذهب مذهب الكيسانية، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية"[5].

ويقول الهادي:

"على مذهب الكيسانية يرى إمامه محمد بن علي (ابن الحنفية) مهدي هذه الأمة"[6].

وإذ رأينا مفهوم الوصية عاما، غير خاص، أو خاصا دون تفصيل في القول المنسوب لكثير، فإن شعر السيد الحميري يفصل في هذا وسواه، رابطا كل أمر بعلاقته التفسيرية التي تراها فرقته، وللسيد أقاويل في وصية علي ﷺ، منها:

(١) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص١٧. ولنظر، المرزباني، **معجم الشعراء**، ص٢٤٢؛ كثير عزة، **ديوان كثير**، ص٣٠؛ المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج٢، ص ص ٤٠٢-٤١٨.

(٢) السلولي، عبدالله بن همام (ت٨٠هـ): **شعر عبدالله بن همام السلولي**، تحقيق: وليد محمد السراقبي، جمعة الماجد، دبي، ١٩٩٦، ص ٧٩.

(٣) السلولي، **شعر عبدالله بن همام السلولي**، ص٨١. ولنظر وجهتي النظر المختلفتين هاتين: ص ص ٧-٨، ٣١، ٣٤-٤١، ٦٦-٦٨. القاضي، النعمان،**الفرق الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٤٥؛ المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج٢، ص٥١٦.

(٤) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٧، ص٢٢٦. ولنظر، ص٢٢٧.

(٥) **المصدر السابق**، ص٢٣٠. ولنظر، ص٢٣٥.

(٦) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص١٠٤.

أعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل في فضله وفعاله لم يكذب[١]

كما تحدث عن غدير خم، وإعلان الولاية، فقال:

وبخم إذ قال الإله له قم يا محمد بالولاية فاخطب

حتى قوله:

جعل الولاية بعده لمهذب ما كان يجعلها لغير مهذب[٢]

وهو ما حداه إلى أن يذهب أبعد من ذلك، فيقول:

والله أهبط (جبرائيل قائلا ؟) لرسوله فانظر لذاك واعجب

ما إن يبلغها سواك أو هو منك أصلا وهو غير مجنب[٣]

وتكتمل أفكار الكيسانية التي رأيناها سابقا في شعر من سبقه بقوله بالغيبة والرجعة، واختصاص ذلك بمحمد ابن الحنفية في جبل رضوى، يقول:

يفوز بكنيتي واسمي لأني نحلتهما هو المهدي بعدي

يغيب عنهم حتى يقالوا تضمنه بطيبة بطن لحد

سنين وأشهرا ويرى برضوى بشعب بين أنمار وأسد[٤]

كما يقول:

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذاك الجبل المقاما

وبعده:

وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما

ثم قال:

لقد أوفى بمورق شعب تراجعه الملائكة الكلاما

وإن له به لمقيل وأندية تحدثه كراما[٥]

وبعد ذلك:

تمام مودة المهدي ترى راياتنا تترى نظاما

وقوله عن حديث الكساء:

إن يوم التطهير يوم خص بالفضل فيه أهل الكساء[٦]

(١) الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص١١٩. فاطمة: فاطمة بنت أسد. وانظر ص١٦٢؛ الأصفهاني، **الأغاني**، ج٧، ص٢٦٣.

(٢) الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص١٥٦. وانظر ص١٦٠؛ مقدمة الخطيب، ص ص١٤-١٧، ٣٩-٤٠. الأصفهاني، **الأغاني**، ج٧، ص ص٢٥٤، ٢٥٦.

(٣) الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص١٦٠.وما بين القوسين خلل في الوزن، صوابه: جبرئيل قائلا، دون علامة الاستفهام التي وضعها المحقق.

(٤) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٧، ص٢٢٨.وانظر، ص٢٣٦.

(٥) **المصدر السابق**، ج٩، ص١٤.

(٦) **المصدر السابق**، ج٧، ص٢٣٣. وانظر ذكره **الحوض**، ص ص ٢٤٣، ٢٤٦.

فهنا حديث عن غدير خم، وحديث عن الكساء، ولكنه لا يكتفي بذلك، بل يدخل فكرا جديدا، لم يأت ذكره قبله، وهو مفهوم البداء، أي: تغيير أحكام الشريعة، بحسب ما يعلم الله من المصالح لعباده، تأويلا لقوله تعالى: ﴿**يمحو الله ما يشآء ويثبت وعنده أم لكتاب**﴾[الرعد: ٣٩]، يقول:

يمحو ويثبت ما يشاء وعنده علم الكتاب وعلم مالم يكتب[١]

ربما كانت الأفكار السابقة كلها تدور في حلقة واحدة، سابقة على السيد الحميري، ما عدا فكرة البداء، نتيجة التطور الفكري والعقدي عند الكيسانية، إلا أن الجديد كل الجدة في الشعر الكيساني هو سب السلف والطعن فيهم، وسنعرض عن هذا كله، إلا أنه جاء في الأغاني:

"مات ذكره، وهجر الناس شعره، لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره، ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم"[٢].

ويقول صلاح الدين الهادي:

"كما يجوز في مذهبهم سب أزواج الرسول ﷺ، والطعن عليهم، والسيد الحميري يعبر عن هذه العقيدة معرضا...بالسيدة عائشة أم المؤمنين رضي.....وللسيد الحميري أيضا أبيات يسب فيها بعض الصحابة، وأبناءهم ممن قعدوا عن بيعة علي....

أإلى أمية أم إلى الشيع التي جاءت على الجمل الخدب الشوقب"[٣]

وكان إلى جانب ذلك يتعرض لرواة الحديث[٤]. وها إن لدينا هنا شعرا منسقا، منتظما منظما، يحمل أبعادا فكرية وعقدية، ويعبر عن مبادىء راسخة، وهو يلتقي مع ما نسب لكثير في نسبة اختفاء ابن الحنفية إلى جبل رضوى.

وعلى هذا يتأسس أن فرقة الكيسانية في أساسها طورت فكرة المنقذ المخلص من علي ﷺ إلى ابنه محمد، وجمعت لهما الأصلين الآخرين: الوصية، والمهدية، ثم أضافت إلى ذلك أفكارا مستحدثة هي البداء والتعرض للسلف الأول؛ فالكيسانية حسب وصف شوقي ضيف:

"فرقة غالية"[٥].

إنها فرقة حولت الدين السماوي إلى دين وضعي، خاضع للتفسيرات البشرية، ومستندة إلى نوازع إنسانية، جعلت قطبها علي بن أبي طالب ﷺ، وبحثت عن مرجعيات تتخذ الإسلام مسمى لها.

(١) الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص١٦٤.

(٢) الأصفهاني، **الأغاني**، ج٧، ص٢٢٥. ولنظر، ص ص ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٧-٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٢-٢٥٣، ٢٦٤، ٢٦٦-٢٦٧.

(٣) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص١٢٥. ولنظر، الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص ص ٩١-٩٦.

(٤) الحميري، **القصيدة المذهبة**، مقدمة الخطيب، ص ص ٦٤، ٦٦.

(٥) ضيف، **التطور والتجديد**، ص ص ٩٣، ٩٤.

١٢- نسبة الكميت بن زيد الأسدي (٦٠-١٢٦هـ) إلى الزيدية

وإذ بدا لنا الأمر واضحا الآن في أن الكيسانية الكربية هي التي كانت مسيطرة على الساحة الشعرية في العصر الأموي، وأن تلك هي أصولها المقررة، بعد أن أحاطت نفسها بإضافات لم تنعكس على شعر سابق، وفي ضوء ما عرضه السيد الحميري من عقائد، فإن اتفاقا عاما بين المعاصرين على أن الكميت بن زيد الأسدي كان ممثلا للزيدية، القائمة على المبادىء التي جاء بها زيد بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما، والمقتول سنة (١٢١هـ). فهم يقولون عن الزيدية إنها فرقة:

"معتدلة"[١].

ويحدد شوقي ضيف أهم مبادىء الزيدية كالآتي:

"يسوق زيد وشيعته الإمامة في أولاد علي من فاطمة فقط، وهم لا يسبغون على الإمام صفات روحية تفصله عن البشر، فكل ما يصفونه به العلم والزهد والسخاء والشجاعة. وقد أجازوا إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فكان زيد لا يتبرأ من أبي بكر وعمر، بل كان يرى أن ولايتهما صارت رشدا وهدى لبيعة علي لهما ورضاه بهما"[٢].

وشوقي ضيف، لما ذهب إليه من اعتدال الكميت، يرى أنه:

"يصور هذا الاعتدال في هاشمياته، فليس فيها غلو في تصور حقيقة الإمام، ولا في العلم الذي بثه الله فيه.... [٣] .

حتى إنه ليتمسك بهذه النتيجة حين يقول:

"يسلم بصحة خلافة أبي بكر وعمر، وهو ما لا تقره جميع فرق الشيعة، بل إنه ليخطو خطوة أوسع، فيجوز تجويزا عاما إمامة المفضول مع قيام الأفضل"[٤].

وهو يستنتج أن هاشميات الكميت:

"كتبت قبل كل شيء لتخدم نظرية معينة، وهي لذلك تجرد من اسم إمامه زيد غالبا، حتى هاشمياته التي نظمها في رثائه ليس فيها اسمه من قريب ولا من بعيد؛ لأنها..مقالة كتبت احتجاجا للبيت الهاشمي بصفة عامة ولزيد بصفة خاصة. ولا يهمها زيد بقدر ما يهمها البيت كله، لأن زيدا نفسه رمز للبيت. وكان زيد لا يقيد الخلافة بفرع الحسين جده، بل يطلقها في أبناء فاطمة

(١) **المصدر السابق**، ص ص٩٤٣-٩٥.

(٢) **المصدر السابق**، ص٩٥. ولنظر، الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ص ٣٤-٣٥، ٩٥؛ الطباطبائي، **الشيعة في الإسلام**، ص ص٧٨-٧٩. ص٨٧.

(٣) ضيف، **التطور والتجديد**، ص ٢٨٨.

(٤) **المصدر السابق**، ص ٢٨٤.

كلهم، سواء كانوا من فرع جده أو كانوا من فرع عمه الحسن، فساعد ذلك أيضا على التعميم في الهاشميات"[١].

كما يذهب إلى أن الكيمت كان داعية زيد، فيقول:

"كان زيد بن علي...يبث دعاته في الكوفة، وكان الكميت من أكبر هؤلاء الدعاة، فهو الشاعر الذي تكفل بالدعوة لزيد شعرا"[٢].

على أن شوقي ضيف يسوغ لعدم خروج الكميت نصرة لإمامه بقوله:

"لم يخرج الكميت مع إمامه زيد، لا لأنه رفضه كما رفضه كثير من شيعة الكوفة، بل لأنه كان يرى أن لا يخرج زيد لما يعرفه من نفسية أهل بلدته وأنهم إذا جد الجد لا ينصرونه، ومع ذلك فقد تولى أسفا ينعى على نفسه هذا التخاف والنكوص عن إمامه، إذ يقول في بعض هاشمياته:

دعاني ابن رسول الله فلم أجبه ألهفي لهف للقلب الفروق
حذار منية لا بد منها وهل دون المنية من طريق"[٣]

ثم إن شوقي ضيف لا يجد مفرا من القول:

"لعل هذا الجانب في الكميت هو الجانب الوحيد الذي خالف فيه إمامه، مع ذلك فقد كان يخالفه على ما يظهر قاصدا إلى ذلك، ففي هاشمياته اعتراف بأنه لا يرى الخروج متأسيا في ذلك بكثير من الأئمة السابقين، ونفس زين العابدين والد زيد لم يخرج، وكان أخوه محمد الباقر يرى عدم الخروج، ومن ثم يقول الكميت:

تجود لهم نفسي بما دون وثبة تظل لها الغربان حولي
ولكن لي في آل أحمد أسوة وما قد مضى في سالف الدهر أطول

فالكميت لم يخرج عن قصد وإيمان بوجهة نظر كان يشايعه فيها بعض الشيعة، وكأنه كان يرى أن الوقت لم يحن للخروج، وأنه لا بأس من استتمرار السرية والتقية. على أنه ذهب يبكي بكاء مرا حين قتل زيد بن علي...

يعز على أحمد بالذي أصاب ابنه أمس من يوسف"[٤]

١٣- كيسانية الكميت وكربيته

كانت هذه الآراء هي الآراء السائدة عن الكميت بين الباحثين المعاصرين، تأكيدا وإصرارا مستمرا على أنه زيدي، كما هو معروف عن اعتدال الزيدية في مرحلتها الأولى، الزيدية التي

(١) **المصدر السابق**، ص٢٨٢. ولنظر، ص ص ٢٦٨-٢٨٩.
(٢) **المصدر السابق**، ٢٧٤. ولنظر، ص ٢٧٢.
(٣) **المصدر السابق**، ص ٢٧٥. ولنظر، القاضي، **الفرق الإسلامية**، ص ص ٣٢٣-٣٩٠.
(٤) ضيف، **التطور والتجديد**، ص ٢٧٥.

كانت ترى "إمامة المفضول مع قيام الأفضل" عاطفيا، لا عقديا، فمجرد التسليم "بصحة خلافة أبـي بكر وعمر" يلغي إلغاء كليا تشريع زيد ذلك، وجعله ردة فعل عاطفية تجاه جده، علـي ﷺ. ولـم يتـنبه إلى خلاف ذلك مؤخرا إلا محمد نافع المصطفى، غير أنه باندفاعه إلى وجهة نظر سيطرت على عمله، ابتعد بالكميت عن الكيسانية[١]، كما عرفناها في هذا المسار الذي وصلت إليه؛ لأنه – كسابقيه- لم يتبين موقف الكميت من مفهوم الوصية لمحمد ابن الحنفية، وكذلك، الغيبة والرجـوع له. والمصطفى بهذا يعبر عما عبر به صلاح الدين الهادي قبله، مع خلط بين عند الهـادي حـين قال:

"هاشميات الكميت..لم تكن تعبيرا عن مذهب الزيدية –الذي يدين به الكميت- وحده،إنما كانت تعبيرا عن العقيدة الشيعية، في صورتها العامة"[٢].

وسنرى من خلال التحليل التالي أن الكميت لم يكن إلا كيسانيا كربيا فقط، وليس زيـديا، أو سوى ذلك قط، فهو وصنوه السيد الحميري سيان.

يتحدث صلاح الدين الهادي عما سماه سابقا الصورة العامة للعقيدة الشيعية فـي هاشـميات الكميت، التي تتفق على الولاية والوصية، فيذكر أهم عقائد الكيسانية في شعر الكميت، وهو في كل هذا مرادف لما قاله يوسف خليف قبله، فيقول:

"من دلائل هذه العمومية في تشيع الهاشميات للهاشميين، أنها تضم مصطلحات شيعية، بعضها مما يتفق فيه الشيعة، وبعضها لا تقول به فرقة الزيدية التي ينتمي إليها الكميت. فمما تتفق فيه فـرق الشيعة، الحديث عن علي ابن أبي طالب بأنه "الوصي" أو "الوصي الولي" وعن الحسن بأنه "وصـي الوصي" وعن أئمة الشيعة بعامة بأنهم "المهتدون" والحديث عن ولاية يوم غدير خم.... ومما لا تقول به الزيدية، اختفاء محمد بن الحنفية –إمام الكيسانية – في شعب رضوى...وعقيدة التقية تتردد فـي الهاشميات، مع أنها ليست من عقائد الزيدية"[٣].

ويقرر شوقي ضيف أن الكميت ليس كغيره من الشعراء في الطعن في الـصحابة وسـبهم، فيقول:

"يزعم كما تزعم الفرق الشيعية الأخرى أن رسول الله أوصى بالخـ ـلافة لعلي، ولكنه لا ينتهي كما انتهوا إلى أن أبا بكر وعمر اغتصباه حقه، بل يدع الأمر في ذلك لله"[٤].

(١) المصطفى، **الموازنة بين شعر الخوارج وشعر الشيعة**، ج٢، ص ص٤٣٩-٤٨٤.

(٢) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص٩٤

(٣) **المصدر السابق**، ص٩٤. ولنظر، خليف، يوسف، **في الشعر الأموي**، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩١م، ص ص ١١٦، ١١٩. خليف، **حياة الشعر في الكوفة**، ص ٧٢٥.

(٤) ضيف، **التطور والتجديد**، ص ٢٨٨.

ومع ذلك، فصلاح الدين الهادي يستشهد بقول الكميت على أنه على مذهب الزيدية المعتدلة بقوله:

عن الرسول رسول الله قال لنا إن الولي علي غير ما

كما يستشهد بقوله التالي في مصرع علي ﷺ على أنه الوصي:

والوصي الذي أمال التجو بي به عرض أمة

ويذكر له استشهاده بالقرآن الكريم على الولاية في قوله:

بخاتمكم غصبا تجوز أمورهم فلم أر غصبا مثله يتغصب
وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب
وفي غيرها آيا وآيا تتابعت لكم نصب فيها لذي الشك منصب[٣]

وكذلك استشهاده بالحديث الشريف في قوله:

وأصفاه النبي على اختيار بما أعيا الرفوض له
ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية أو أطيعا
ولكن الرجال تبايعوها فلم أر مثلها خطرا مبيعا
فلم أبلغ بذاك أقربهم لعدل إلى جور وأحفظهم
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا وأقومهم لدى الحدثان ريعا
تناسوا حقه وبغوا عليه بلا ترة وكان لهم قريعا[٤]

ويورد شوقي ضيف قول الكميت التالي في تقرير حق البيت الهاشمي في الخلافة:

ولكن مواريث ابن آمنة الذي به دان شرقي لكم ومغرب
فدى لك موروثا أبي وأبو أبي ونفسي ونفسي بعد للناس أطيب

ثم قوله:

يقولون لم يورث ولا تراثه لقد شركت فيه بكيل وأرحب

وبعدها:

فإن هي لم تصلح لحي سواهم فإن ذوي القربى أحق وأقرب[٥]

ويقول الهادي عن التقية:

(١) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص٩٦. ولنظر، أباريناش، **هاشميات الكميت**، ص٨٢.

(٢) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ص٩٦، ١٠٩. تجوبي: نسبة إلى تجوب، قبيلة ابن ملجم المرادي؛ أباريناش، **هاشميات الكميت**، ص٢٣١؛ الحميري، **القصيدة المذهبة**، ص ص٢١-٢٢.

(٣) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ٩٨. ولنظر، أباريناش، **هاشميات الكميت**، ص ص ٥٥-٦٥.

(٤) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص ٩٥. ولنظر، أباريناش، **هاشميات الكميت**، ص١٩٧.

(٥) ضيف، **التطور والتجديد**، ص ٢٧٨. ولنظر، أباريناش، **هاشميات الكميت**، ص ص ٥٥-٦٥، ١٩٠.

"عقيدة التقية تتردد في الهاشميات،مع أنها ليست من عقائد الزيدية"[١].

لقد بين الكميت الأصول التامة لهذا الاتجاه، وكما سبق أن قال الهادي:

"من دلائل هذه العمومية في تشيع الهاشميات للهاشميين، أنها تضم مصطلحات شيعية، بعضها مما يتفق فيه الشيعة، وبعضها لا تقول به فرقة الزيدية التي ينتمي إليها الكميت. فمما تتفق فيه فرق الشيعة، الحديث عن علي بن أبي طالب بأنه "الوصي" أو "الوصي الولي" وعن الحسن بأنه "وصي الوصي" وعن أئمة الشيعة بعامة بأنهم "المهتدون" والحديث عن ولاية يوم غدير خم.... ومما لا تقول به الزيدية، اختفاء محمد بن الحنفية –إمام الكيسانية – في شعب رضوى...وعقيدة التقية تتردد في الهاشميات".

فإذا لم يتفق الكميت مع عقيدة إمامه، فكيف يكون زيديا؟ وإذ تتفق الزيدية مع الكيسانية الكربية في "الوصية" و"الولاية" "والعصمة" و"التقية"، والقدح في الصحابة، تكون بهذا قد خرجت كلية عن الزيدية؛ لأن هناك، كما ذكر صلاح الدين الهادي:

"قاعدة يؤمن بها كل زيدي، تقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل".

ولو كان هناك وصية أو نص على الولاية، لما جاز الاعتراف عنده بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنه لا يجوز بحال من الأحوال التنازل عنهما، بل تجب المجاهدة دونهما، حتى إنه يشير إلى تأويل قول عمر ﷺ:إنه يهجر[٢]، في احتضار النبي ﷺ:

عن الرسول رسول الله قال لنا إن الولي علي غير ما هجرا

والكميت يذهب بعيدا في توجهه حين يحتج بآيات من القرآن الكريم على ذلك، بل يثبت ميراث بني فاطمة للرسول ﷺ. والزيدية كما نادى بها مؤسسها الأول زيد بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم جميعا، واضحة المبادىء، فلا تقية فيها، ولا اعتقاد أزلي لديها بوصية و ولاية، ولقد ثار زيد ضد الظلم والعدوان فقط، ولكي يقيم العدل والمساواة وينشر الأمن والمحبة، إنها ثورة سياسية بمظهر ديني. إلى هنا يتضح أن الكميت خارج عن مبادىء الزيدية، فمسألة التفضيل تلك لا تنطبق حتما عليه. أما الأمر الآخر، فهو قوله:

"ويستمد الكميت من مذهبه، مذهب الزيدية المعتدل، قاعدة يؤمن بها كل زيدي، تقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ويستند عليها، فيرفض أن يلعن أبا بكر وعمر وعثمان،

(١) الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي**، ص٩٤. وانظر، المظفر، **عقائد الإمامية**، ص ص١٣٠-١٣٢.

(٢) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **تاريخ الطبري**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٣، ص١٩٣.

والصحابة الذين بايعوهم، ورضوا بإمامتهم، ويرى أنهم أخطأوا فحسب، لأنهم قـدموا المفـضول على الفاضل:

"أهوى عليا أميـر المـؤمنين ولا أرضى بـشتم أبـي بكـر ولا
ولا أقول وإن لم يعطيـا فـدكا بنت الرسـول ولا ميراثه كفرا
الله يعلم مـاذا يأتيـان بـه يـوم القيامة من عذر إذا اعتذرا"

وهذه الأبيات الوحيدة هي التي صنفته على أنه زيدي، مع أنها لا تخرج عن الأقوال السابقة، إنه لا يعترف بخلافة الخليفتين الأولين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأمير المؤمنين هو علي ﷺ وحده. ثم هو هنا -ولأول مرة في الشعر العربي- يدخل قضية فدك، في الاحتجـاج، متهمـا الاثنين بأنهما اغتصباها من فاطمة رضي الله عنها، وأنهما لذلك سوف يعرضان على الله تعـالى لمحاسبتهما، أي: هما ظالمان. إنه في واقع الأمر يشتم أبا بكر وعمر، وهو كذلك يكفرهما، ولكنـه يقول هذا بطريقة غير مباشرة، كشفها بيته الأخير، وهو ينقل الجو السائد حوله الذي يتداول هـذه الأقوال. وبهذا يثبت أن الكميت خارج عن مبادىء الزيدية، أما المواربة في هذا القول والتمويـه فيه، فكان كل ذلك تقية انطلت على دارسيه، بيد أنها لم تنطل على الجاحظ الذي أدرك مقاصـده، فتعجب منه شوقي ضيف قائلا:

"كنا نعجب من الجاحظ إذ يقرر أن الكميت كان شيعيا من الغالية، ولم يكن الكميت يوما غاليا في تشيعه إذ كان شيعيا معتدلا، أو بعبارة أدق كان زيديا"[1].

يقول الجاحظ:

وكان الكميت شيعيا من الغالية[2].

والجاحظ يفصل بينه وبين من لم ينتصر لزيد في التسمية؛ ولهذا، فالكميت لم يخرج مع زيد، ليس وفقما ذكر شوقي ضيف؛ بل لأنه نكص عنه، فهو من الغلاة الكيسانية الكربية، اللذين لم يعنهم شأنه، وإنما رثى - إن رثى-؛ لأنه عاصره، ورأى مصرعه، فأنبه ضميره، كما يشعر كـل مـن شاهد منظر صلبه. على أن شوقي ضيف بالغ كثيرا حينما قال سابقا:"على أنه ذهب يبكي بكاء مرا حين قتل زيد بن علي...

يعز علـى أحمـد بالـذي أصاب ابنه أمس مـن يوسف"

فما هذا البكاء المر في هذا البيت والذي يليه:

خبيث من العـصبة الأخبـثين وإن قلـت زانين لم أقـذف[3]

(١) ضيف، **التطور والتجديد**، ص ٢٨٩. ولنظر، ص٢٩٠.
(٢) الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٤٦.
(٣) أبورياش، **هاشميات الكميت**، ص٢٠٣.

بيتان لا ثالث لهما، فهل فيهما حقا ما يراه شوقي ضيف؟ وهذا ما ينطبق أيضا على بيتيه الآخرين اللذين استشهد بهما شوقي ضيف في عدم نصرة الكميت زيدا، فقد جاءا برواية أخرى نونية، ذكر فيهما الكميت هنا زيدا بالاسم[١]، وهذا يدفع دفعا شديدا إلى عدم الاطمئنان إلى هذه الأقوال، إذ ينطبق عليهما تمام الانطباق ما انطبق على لاميته الطويلة جدا:

ألا عم في رأيه المتأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

التي قيل: إنها مرثية حقيقية في زيد، ولكن يوسف خليف يشك في ذلك؛ لأنها مفرغة من أي معنى في رثاء زيد[٢]. وسبق أن قال شوقي ضيف:

"حتى هاشمياته التي نظمها في رثائه ليس فيها اسمه من قريب ولا من بعيد؛ لأنها..مقالة كتبت احتجاجا للبيت الهاشمي بصفة عامة...".

لقد أعلن الكميت معتقده، بطريقة أخرى، فهو إذ لم يصطدم صراحة بالجو الديني المحيط حوله، وإنما أذاع مبادئه التي تحتمي بحب آل البيت، في تعبير مماثل لقوله فيما يعتقده هو الحق فقط، وكل ما سواه باطل:

ومالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب[٣]

لأن الجو السياسي كان ضاغطا حوله، حتى إنه في بعض حالاته:

"توجه إلى الشام مستغيثا..." [٤].

نجده يكشف عن ثورة داخلية عارمة حين تتاح له الفرصة، فينادي بلبس السواد، شعار العلويين، فيقول لأهل خراسان سنة ١١٧هـ:

وإلا فارفعوا الرايات سودا على أهل الضلالة والتعدي[٥]

كان الكميت كيسانيا يقول بمبدأ الوصية والوراثة والولاية أساسا؛ وحيث إن الكميت لم يسم إمامه زيدا قط في أي من هاشمياته، فليس هناك ما يجعل هذا التحسر على القتل في زيد نفسه، إذ قد يكون في سواه من الأئمة الذين سبقوه، ولاسيما حسينا ﷺ، أشار إلى حادثة هذا، وهو يعني ذاك.

لقد تولى الكميت تأسيس الوثيقة البيانية السياسية الدينية للكيسانية الكربية، في عصر احتدم فيه الصراع بين الأحزاب السياسية، وعلى رأسها السلطة السياسية متمثلة في الأمويين، والحزب العلوي، فكان الكميت غاليا، كما عرفه الجاحظ، غاليا في كيسانيته الكربية، وليس سواها-ولم يكن

(١) **المصدر السابق**، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) خليف،**حياة الشعر في الكوفة**، ص ٤٢٢.

(٣) أبورياش، **هاشميات الكميت**، ص٥٠.

(٤) ضيف، **التطور والتجديد**، ص٢٧٣.

(٥) انظر، **المصدر السابق**، ص٢٧٢.

معتدلا، كما غاب هذا عن شوقي ضيف وغيره إلى وقت قريب، فحاموا حول عمومية اعتقاده، مع وصله بالزيدية، التي لا مفر منها عندهم بشأنه، وانصرف محمد نافع المصطفى إلى التعميم، فيما لم يدخله الجاحظ فيه. وبهذا تحقق قول شوقي ضيف الآخر:

"كان الكميت شاعرا شيعيا متعصبا لبني هاشم"(١).

وقوله كذلك:

"الكميت في هذا كان يعبر عن تشيع عميق فيه"(٢).

ولكنه في كل ذلك كان المنظر للكيسانية.

ألم يقل الكميت:

لمرضي السياسة هاشمي يكون حيا لأمته ربيعا
وليثا في المشاهد غير نكس لتقويم البرية مستطيعا
يقيم أمورها ويذب عنها ويترك جدبها أبدا مريعا

وهي الأبيات التي علق عليها صلاح الدين الهادي، فقال:

"وقد أخذ الشعراء يصورون صفات المهدي ويرسمون سماتها وصفا شيقا، فهو هاشمي مرضي السياسة..." (٣).

يقول شوقي ضيف:

"ومن هنا كانت الهاشميات تكثر من ذكر عدل الإمام المنتظر.." فأي مهدي هو ذاك، وأي منتظر هو هذا؟ ذلك أنه ليس في عقيدة الزيدية مثل هذا المعتقد، وإنما هما اللذان تؤمن بهما الكيسانية في زمنهما.

وأعجب من هذا كله أن يقول صلاح الدين الهادي:

"ونلقي في شعر الكميت تقريرا لمسألة وصاية الرسول ﷺ لابن عمه علي يوم غدير خم... يقول الكميت بها ولكنه لا ينتهي كما انتهوا إلى أن أبا بكر وعمر قد غصباه حقه وإنما شرط الوصية بالطاعة ليتسق ذلك وما تدين به الزيدية في قوله:

ويوم الدوح يوم غدير خم أبان له الولاية لو أطيعا"(٤)

(١) **المصدر السابق**، ص ٢٧١.

(٢) **المصدر السابق**، ص٢٧٥.

(٣) الهادي، **اتجاهات الشعر**، ص٣٩٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٨٣. وهو الرأي الذي سبق إلى طرحه شوقي ضيف، **التطور والتجديد**، ص٢٨٨.

أهذا كذلك؟ أليسي هو الطعن كل الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنهما – كما يدعي – لم ينفذا أمر الرسول ﷺ؟ ألم يستخدم حرف الشرط "لو" لتأكيد ذلك العصيان من الشيخين، كما تروج الكيسانية؟

وكان الكميت كيسانيا كربيا حقيقة، يؤمن بمحمد ابن الحنفية، كما السيد الحميري بعده، إذ لا يعقل أن يأتي السيد، فيقول شعرا كذاك، دون أن تكون له قاعدة شعبية من ناحية، وخلفية ثقافية من ناحية أخرى، يقول الكميت:

وسمي النبي بالشعب ذي ف طريد المحل بالأحرام[١]

كما يقول:

ولا صاحب الخيف الطريد ولو أكثر الإيعاد لي والترهب[٢]

وعلى الرغم من أن شرح الهاشميات يقول: إن المقصود الحسن بن علي في قوله:

ووصي الوصي ذي الخطة ل ومردي الخصوم يوم

فإنه وفقا لمعتقد الاختفاء بالشعب ذي الخيف، أي: بشعب رضوى، يكون الوصي هو محمد ابن الحنفية، لا الحسن بن علي. وما قوله: وصي الوصي إلا الاستعمال نفسه الذي رأيناه سابقا، في علاقة الوصية بعلي بن أبي طالب، ثم بمحمد ابن الحنفية نفسه رضي الله عنهما، متجاوزا بذلك كل من عداه من أبناء علي رض الله عنه، وحاصرا لها فيه فقط. إضافة إلى الاستعمال الآخر: سمي النبي.

كان يوسف خليف يجاري شوقي ضيف عندما لاحظ مخالفة الكميت مخالفة جوهرية للعقيدة الزيدية في اعترافه بفكرة "التقية"، وفي حديثه عن ابن الحنفية، حتى قال:

"إن حديثه... عن ابن الحنفية الذي أسس حوله مذهب خاص من مذاهب الشيعة الغالية، يجعلنا نتساءل: هل كان الكميت حقا شاعر الزيدية؟ وهل كانت هاشمياته كلها تعبيرا عن المذهب الزيدي وحده؟"[٤]

وكانت نتيجته عودا على بدء، مثلما فعل شوقي ضيف تماما:

"إنها ليست تعبيرا عن الفكرة الشيعية في صورتها الغالية، وإنما هي تعبير عن هذه الفكرة في صورتها العامة المعتدلة...ولهذا كان غريبا من الجاحظ أن يذكر أن الكميت كان شيعيا غاليا"[٥].

وما هكذا كان الكميت، فهاهو يظهر غاليا، كيسانيا، كربيا، وليس زيديا كيفما كانت الزيدية!! وهكذا،يتضح لنا بجلاء لا لبس فيه أن شعر العصر الأموي شعر كيسانية فقط.

(١) أبورياش، **هاشميات الكميت**، ص٣٥.

(٢) **المصدر السابق**، ص٨٩.

(٣) **المصدر السابق**، ص ٣٣.

(٤) خليف، **حياة الشعر في الكوفة**، ص ص ٧٢٣-٧٢٤.

(٥) **المصدر السابق**، ص٧٢٥.